الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة غرداية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة : التاريخ

علاقة الدولة الحمادية بنصارى دول جنوب غرب اوروبا 419-547 هـ/ 1029-1152 م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تاريخ وسيط اسلامي

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبة :

يمينة زهواني

اشراف:

أ.د/ابراهيم بحاز

اللجنة المناقشة

اسم الاستاذ و لقبه	الدرجة	الجامعة	الصفة
أحمد دمانة	أستاذ محاضر "أ"	غرداية	رئيسا
إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	غرداية	مشرفا ومقررا
عبد الجليل ملاخ	أستاذ مساعد "أ"	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1436- 1437 هـ /2015 - 2016 م

شكر وعرفان

قال الله تعالى:" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ"

". سورة البقرة الآية 152.

الشكر لله أولا وأخيرا على توفيقي.

الذي مهد لي سبل النجاح، وأحمده راجين منه العفو والمغفرة، وألف صلاة وسلام على سيدنا محد صلى الله عليه وسلم وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور إبراهيم بحاز، الّذي وجهني طول فترة البحث.

كما أتقدم بجزيل شكري إلى الأستاذ كواتي مسعود الّذي لم يبخل عني بتقديم المساعدة لي بتوفيره الكتب الّتي أحتاجها العلمية لي.

وإلى كلّ الأساتذة الّذين أطروني طيلة مشواري الدراسي.

أتقدم لهم جميعا دون استثناء بالشكر الجزيل من صميم قلبي.

ولكلّ من ساعدني على إنجاز هذا العمل.

الإهداء

أهدي هذا العمل: إلى أعز ما لدي إلى روح والدي الحبيب رحمة الله عليه، الّذي غادرني في هذا العام وأنا في عز الإحتياج إليه، فهو ألهم في نفسي الصبر وحب العلم وكان سبب دفعي للعلا، قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وإلى أمي الغالية سائلة المولى عز وجل أن يجزل لها الأجر والثواب ويبقيها بعد أبي فخرا لي وللعائلة.

إلى مصدر سعادتي بهذه الحياة: إخوتي: مسعودة، سعيد، محمد الأمين، صفاء، مروى.

أقاربي خاصة إلى عمتي وبناتها اللّاتي رفقنني منذ بداية مشواري الجامعي إلى: سهام، وفاء، شريفة، هشام.

إلى عمي محمد وزوجته وأبنائه: سليمة وعبد النور وعبد الرحيم وعبد القادر.

إلى عمي عمر وزوجته وأولاده: عليّ، مصطفى، قدور، زين الدين، كوثر، بسملة.

إلى خالتي مسعودة وأولادها خاصة بختة ونورة، وإلى خالتي تالية وأولادها خاصة فتيحة وهوارية.

إلى صديقاتي....إلى من تحلّوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى من غمروني بصداقتهم وحنينهم: حليمة، يمينة، فاطنة، خديجة، خيرة، فطيمة الزهراء، زينب، فاطمة، سارة، سعاد، سارة، نصيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات:

ج: الجزء.

مج: مجلد.

تر: ترجمة.

تح: تحقيق.

ط: طبعة.

ص: صفحة.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

دت: دون تاريخ.

تع: تعليق.

م ع س: المملكة العربية السعودية.

P : page

المقدمة

المقدمة:

إنّ موضوع العلاقات يعد من المواضيع المهمة الّتي التفت إليها المؤرخون، ورأيت أن أتناول الدولة الحمادية وهي ثاني دولة قامت في المغرب الأوسط بعد الدولة الرستمية، والّتي دامت قرنا وأزيد من ربع القرن، والّتي تعتبر ذات قوة سياسية وحضارية، وقد مرت الدولة منذ تأسيسها سنة 408هـ/1018م، على المسرح السياسي بالعديد من المراحل والّتي واجهت فيها الدولة العديد من التحديات والأطماع من الداخل مع قبيلة زناتة والّتي قام ملوك الدولة الحمادية بتسكين ثوراتهم وإخضاعهم لسكان الدولة الحمادية، ومن الخارج مع أبناء عمومتهم الزيريين الّذين رفضوا انفصال الحماديين عنهم واستقلالهم بكيان سياسي بالمغرب الأوسط، فقاموا بحروب وثورات مع أبناء عمومتهم، فقام الحماديون بإخمادها تارة واللجوء إلى الصلح تارة أخرى، فقد كان الصلح لا يدوم طويلا معهم إذ تتجدد الصراعات، وقد كانت هناك في جهة الغرب من المغرب الأوسط قوة جديدة تمثلت في المرابطين بدأت تظهر وتتوسع على حساب الدولة الحمادية، فقام بذلك الحماديون بمقاومة المرابطين بكلّ الطرق واسترجاع ما أخذوه، ومع وجود قوتين شرقية وأخرى غربية تصارع الدولة الّتي تقع بينهما، لذلك لجأ ملوك الدولة الحمادية بعد بنائهم لبجاية عاصمتهم الثانية إلى إقامة علاقات ودية مع الشمال مقر النصارى الأوروبيين، ولهذا قام الناصر بن علناس بتوطيد علاقاته مع البابا جريجوري السابع والّذي رحب هذا الأخير كثيرا بهذه المبادرة الفريدة من نوعها والّتي كانت في نظر الناصر والبابا تخدم مصالح الدولتين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتّى الثقافية منها، ومن هنا جاء عنوان بحثي موسوما بـ:

علاقة الدولة الحمادية بنصارى دول جنوب غرب أوروبا

(419 –547هـ/1029 –1152م)

تمثل سنة 419هـ/1029م، العام الّذي تولى فيه القايد بن حماد الإمارة، وهو نفس التاريخ الذي بدأت معه دراستي لتنتهي مع نهاية الدولة عام 547هـ/1152م.

الإشكالية:

وقد حمل عنوان بحثي الإشكالية التالية، بم تميزت العلاقات الحمادية – النصرانية؟ ومن هذه الإشكالية تأتي هذه التساؤلات الفرعية والّتي تصب في قالب واحد وهي: إلى أيّ مدى استمرت هذه العلاقات بين البلدين؟ وما هي القطاعات الّتي شملتها هذه العلاقات؟ وما مدى تأثير هذه العلاقات على الأوضاع السائدة في كلتا الدولتين؟

ومن الإشكالية الكبرى وضعت الخطة التالية: وهي تنقسم إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

خطة البحث:

أما المقدمة فتضمنت تحديد عنوان البحث مع الإطار الزماني والمكاني، ثم أهمية الموضوع وإشكاليته ودوافع اختياره بالإضافة إلى ذكر الصعوبات الّتي واجهتني طيلة فترة البحث، وأنهيت البحث بتحليل مختصر لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

أما التمهيد كان لمحة عن الدولة الحمادية ونسب بني حماد، وذكر مختصر لملوكهم، ثم تحدثت عن الأوضاع العامة الّتي كانت تسود في تلك الفترة، ثم خصصت لنصارى أوروبا، تعريفا لمصطلح النصارى والنصرانية، وبعدها قمت بتعريف الشعوب الّتي استوطنت الدول الجنوبية – الغربية لأوروبا فيما بعد والّتي تمثلت في النورمان واللومبارديين وسأركز دراستي على النورمانديين.

ففي الفصل الأول والّذي عنوانه" **العلاقات السياسية والعسكرية بين الحماديين والنصارى"**، احتوى هذا الفصل على مبحثين، ففي المبحث الأول تناولت العلاقات السياسية – العسكرية في عهد القايد بن حماد والنّاصر بن علناس، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى العلاقات السياسية– العسكرية في عهد العزيز بالله بن المنصور وفي عهد يحي بن العزيز.

وفي الفصل الثاني الّذي كان عنوانه" **العلاقات الاقتصادية بين الحماديين والنصارى**"، وقد احتوى على مبحثين تطرقت في المبحث الأول لأهم ما ميّز العلاقات الحمادية مع الجمهوريات الإيطالية واخترت جمهوريتين هما: بيزا وجنوة، بكونهما الأكثر تعاملا مع بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة وجزر البليار وجنوب فرنسا، وفي المبحث الثاني تناولت العلاقات الاقتصادية مع كلّ من صقلية والبندقية، والدور الّذي أدته هذه الدول في التجارة الحمادية التّي شهدت ثراء ورخاء اقتصاديا جعل من الدولة الحمادية تنافس أكبر وأعظم القوى الاقتصادية في العالم آنذاك.

أما الفصل الثالث فيحمل العنوان التالي" **العلاقات الاجتماعية والثقافية**"، وقد احتوى هذا الفصل على مبحثين، شمل المبحث الأول الجالية النصرانية في الحواضر الحمادية والّذي أهدف من خلاله إلى دراسة الحالة الّتي كان عليها الوجود النصراني في المدن الحمادية، وفي المبحث الثاني تناولت الدور الّذي قدمته بجاية وبقية المدن الحمادية للدول الأوروبية من مختلف العلوم الّتي أسهمت في النهضة العلمية للأوروبيين.

وختمت بحثي بخاتمة ضمّت مجموعة من النتائج الّتي توصلت إليها، إضافة إلى بعض الملاحق لإثراء وتوضيح الموضوع.

المنهج:

إنّ طبيعة دراستي هذه جعلتني أعتمد على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والّذي حاولت من خلالها إزالة الغموض الّذي اكتنف طبيعة العلاقات وما ميزها، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية والّتي ستزيح الغبار عما حصل في تلك الفترة.

دوافع اختيار الموضوع:

والّذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو كون الدراسات في العلاقات مع الأوروبيين قليلة، إذا ما قورنت بالعلاقات مع جيرانها وبني عمومتها، فكان الدافع لاختيار هذا الموضوع هو إبراز هذا النوع من العلاقات الّتي التزمت بالصمت عنها وعدم البوح عنها، إلا القليل من المصادر.

صعوبات البحث:

ومن خلال دراستي لهذا الموضوع، صادفتني مجموعة من العراقيل والصعوبات كان أهمها قلة المصادر الّتي تخصّصت في الموضوع، اذ اعتمدت المصادر الجغرافية والمصادر العامة والّتي كانت معظم هذه المعلومات مبعثرة ومتفرقة في هذه المصادر، وهذا الّذي أدى بي للرجوع إلى العديد من المصادر من أجل الحصول على بضعة أسطر، وهذا الّذي أخذ مني وقتا طويلا، كما أنّ أغلب المؤرخين والباحثين اهتموا بدراسة العلاقات الشرقية والغربية مثل الصراعات بين الحماديين والزيريين مهملين بذلك العلاقات الجنوبية- الشمالية المتمثلة في علاقات الحماديين بالنصارى في أوروبا، يضاف إلى هذه الصعوبات، ضيق الوقت فقد كانت الفترة الممنوحة لدراسة موضوع كهذا فترة قصيرة جدّا في حين هو موضوع يتطلب وقتا كبيرا لكي أبرز الحقيقة دون أن يحدث مني أيّ سهو أو إسقاط وهذا لدراسة جميع المصادر دراسة متمعنة ودقيقة من أجل الحصول على تحرير موضوع قيم، بالإضافة إلى غموض الجانب الاجتماعي والثقافي من خلال الدراسات المغربية.

الدراسات السابقة:

وقد اطلعت على الدراسات السابقة المتخصصة في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية من بينها رسالة مقدمة لنيل شهادة ماستر وقد حملت عنوان العلاقات الخارجية للدولة الحمادية (408 -547هـ/1018 -1152)، لكريمان كحلال وحكيمة حدار، مذكرة مقدمة لنيل

شهادة شهادة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2014 -2015.

قائمة لأهم المصادر والمراجع:

وقد اقتضى الموضوع الاعتماد على قائمة لأهم المصادر والمراجع، منها كتب الجغرافية والرحالة، والمراجع الحديثة، وسأجيز ذكر أهمها فيما يلي:

*كتب الجغرافية والرحالة: استفدت من هذه الكتب في الحديث عن الجغرافيا البشرية والاقتصادية والعمرانية في مقدمتها:

كتب الجغرافية:

- كتاب" **المسالك والممالك**" لأبي عبيد الله البكري(ت487هـ/1094م): والّذي استفدت منه لتوضيح المسالك البحرية بين المغرب الأوسط والدول الجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وكتاب" **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لأبي عبد الله الشريف محمد بن محمد الإدريسي(ت560هـ/1164م): حيث استفدت من هذا الكتاب في المجال الاقتصادي بين بجاية والمدن الساحلية الأخرى للدولة الحمادية مع الدول الأوروبية، وكذا انتعاش التجارة بين هذه الأقطار وقد قام هذا الكتاب برسم الملامح الاقتصادية للقلعة والمدن الداخلية، وكتاب" **معجم البلدان**" لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م): اعتمدت على هذا الكتاب في التعريف بالمدن والمواقع الّتي صادفتني أثناء تحريري لبحثي، وقد قدمت إليّ معلومات قيمة عن ظروف نشأة هذه المدن وتطورها من مرحلة لأخرى، وكذلك كتاب" **الاستبصار في عجائب الأمصار**" لمؤلف مجهول(القرن6)، والذي استفدت منه كذلك في العريف بالمدن والمواقع والمسافات بين الحواضر الحمادية وما يقابلها في أوروبا.

أما كتب التاريخ فيأتي كتاب:

-كتاب" **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**" لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/13م)، خاصة الجزء السادس، والّذي يعتبر مصدرا هاما من مصادر المغرب الإسلامي، واستفدت منه في التعريف بملوك دولة بني حماد. وكتاب" **تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**" لأبي الخطيب لسان الدين(ت776هـ/1376م): وهو عبارة عن موسوعة تاريخية هامة، وقد اعتمدت عليه في التعريف بملوك الدولة الحمادية.

المراجع الحديثة:

*أما المراجع الحديثة فقد كانت مهمة ومساعدة في إثراء الموضوع لأنها تحدثت ولو بالقليل، ولم تهمل الحديث عن العلاقات الّتي كانت تربط الدولة الحمادية بدول أوروبا:

كتاب" **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**" لرشيد بورويبة، ويعتبر هذا مرجعا هاما الّذي درس الدولة الحمادية، دون أن يهمل أيّ جانب من الجوانب.

كتاب" **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**" لعبد الحليم عويس: الّذي تناول تاريخ الدولة الحمادية منذ تأسيسها إلى غاية إنهيارها وسقوطها على يد الموحدين، دون أن يهمل جانب العلاقات الخارجية للدولة الحمادية.

كتاب" **جريجوري السابع وشمال إفريقيا**" لكريستيان كورتوا: الّذي استفدت منه في الجانب السياسي وتفسيره لرسالة البابا جريجوري السابع.

كتاب" **معاهدات السلام والتجارة**" لدو ماس لاتري: والّذي اعتمدت عليه في العلاقات من الجانبين السياسي والاقتصادي، يتضمن الرسائل المتبادلة بين ملوك المغرب الإسلامي مع حكام أوروبا.

كتاب" **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط 500 – 1100م**"، لأرشابيلد لويس: وهو كتاب قيم استفدت منه أكثر في الجانب الاقتصادي.

كتاب" **موجز تاريخ الجزائر**" ليحي بوعزيز: تناول هذا الكتاب تاريخ الجزائر من البداية إلى غاية تاريخ العصر الوسيط وخاصة في العلوم التّي ساعدت الأوروبيون في النهضة العلمية.

كتاب" **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**" لمحمد حمام، درس هذا الكتاب العلاقات بين الغرب الإسلامي والغرب النصراني، من خلال ما قدمه الغرب الإسلامي للنهضة الأوروبية.

وفي الأخير، هذا جهدي العلمي الأول، إن وفقت فيه فمن الله، وله كانت الأخرى، فحسبي أنّني ما أبقيت من جهدي جهدا.

فهذه باكورة عملي، أدعو الله أن لا يجعلها هي الأولى وهي الآخرة، فأملي أن أواصل البحث العلمي والله من وراء القصد.

يمينة زهواني

أولا) – الدولة الحمادية:

تمهيد

يعود نسب بني حماد إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري، وينحدر من قبيلة صنهاجة الشمال وهي قبيلة من القبائل البربرية، حتّى لقد زعم الكثير من الناس أنّهم ثلث من أمم البربر،[1] يدّعي قوم أنّ البربر هم من نسل حام بن نوح عليه السلام وهم من اليمن، وينسبهم البعض إلى برّ بن قيس عيلان، فيقول: "هذا باطل، لا شك فيه"، ليس لقيس ابن اسمه برّ، ولم يكن لحمير طريق إلى بلاد البربر هذه ادعاءات بعض مؤرخي اليمن، ويرى البعض أنّ من بين ولد برّ: صنهاجة،[1] وصنهاجة هي بن برنس بن بربر.[2]

أجمع النّسابة بأنّ صنهاجة ترجع إلى صنهاج بن عصاب بن مالك بن حمير الأصغر من سبأ مؤسس الدولة الحميرية، أما الطبري فيرى أنّهم نسل نقشان أو نفسان بن إبراهيم عليه السلام، فيرى أنّهم ساميون من أنساب العرب[3]، أما القلقشندي، فيقول: صنهاجة بن برنس بن بربر.[4]

ويرى النويري أنّ أول شخص قدم إلى بلاد المغرب هو المثنى بن المسور، وهذا عندما تغلبت عليه الحبشة، فأشار عليه كاهن بأن يذهب إلى المغرب وسيكون له شأن عظيم هناك.[5]

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: **العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**، مج6، تح: عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ص162.

[2] ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، دن، دت، ص192، أنظر كذلك، عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج4، ص25.

[3] الكلبي، أبو منذر بن محمد بن السائب: جمهرة النسب، تح: ناجي حسين، عالم الكتب –مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986، ص471. أنظر كذلك ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، ص2. أنظر كذلك الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص225.

[4] – القلقشندي، **المصدر السابق**، ص94.

[5] – النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الإرب في فنون الأدب**، ج24، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص86.

أ)- ملوك الدولة الحمادية:

كان ملوك الدولة الحمادية أقرب إلى البداوة، إذ لم تدع لهم ثورات زناتة وغيرهم سبيلا إلى الترف، بسبب الحياة الحربية والدموية، ولم تعرف الدولة الحضارة إلا في عهد الناصر والمنصور، وكانت الدولة الحمادية ملوكية وراثية، وكان ولاؤهم السياسي مرة للفاطميين، ومرة للعباسيين تبعا لمصالحهم السياسية، وكانت عاصمتهم آنذاك القلعة[1] أو أشير، ثم انتقلت إلى بجاية في عهد المنصور[2]، وتعتبر الدولة الحمادية فرع من فروع الدولة الزيرية.[3]

وكان ملوك الدولة رجالا عظاما، وأهم ما يعاب به بعض ملوكهم هو التعصب المفرط للنزعة القبلية، وملوكهم:[4]

1)- حماد بن بلكين:(408- 419هـ/1028- 1054م).

هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، كان ملكا كبيرا وشجاعا ثبتا، وداهية حصيفا، اختط مدينة القلعة بجبل كتامة [5](جبل المعاضيد) سنة 387هـ، وقام بحرب زناتة، توفي حماد بن بلكين سنة 419هـ/1028م، وترك لابنه القايد الّذي خلفه ملكا واسعا وقويا.[6]

---

[1] **القلعة**: مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على قلة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصين ما يحكى عن قلعة أنطاكية، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري، وهو أول من أحدثها سنة 370هـ، وهي قرب أشير من المغرب الأدنى، أنظر كذلك، **معجم البلدان**، ج4، ص390.

[2] محمود شيت الخطاب: **قادة الفتح العربي**، ج2، دار الفكر العربي، دب، ط7، 1984، ص231

[3] عادل أنور خضر: **أطلس تاريخ الجزائر**، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2013، ص76

[4] رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981، ص207.وللاطلاع أكثر على ملوك الدولة الحمادية أنظر **الملحق رقم (01)**.

[5] **كتامة** : هي قبيلة أمازيغية تسكن في المنطقة الشرقية من دولة الجزائر الحديثة في منطقة القبائل، وما حوله و الجزء الشرقي من الجزائر تتميز أرضهم بالجبال والهضاب العليا والخصبة. للتوسع أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص 140.

2)- القايد بن حماد:(419- 446هـ/1028- 1054م).

هو القايد بن حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، ثاني ملوك الدولة الحمادية، كان سديد الرأي عظيم القدر،[1] وكان لهذا الأمير دورا رئيسيا في تحسين العلاقة بين الدولتين الحمادية والزيرية،[2] قطع خطبته للفاطميين وجعلها للعباسيين سنة 432هـ/1041م.[3]

3)- محسن بن القايد:(446- 447هـ/ 1054- 1055م).

هو محسن بن القايد بن حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي، كان جبارا قتل سائر أولاد حماد، قتله بلكين بن محمد لتسعة أشهر من ولايته.[4]

4)- بلكين بن محمد:(447- 454هـ/1055- 1062م).

هو بلكين بن محمد بن حماد بن مناد بن زيري الصنهاجي المغربي ، كان شهما قرما حازما سفاكا للدماء،

---

[6] لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال**، تح: أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص85، أنظر كذلك، ابن خلدون، **المرجع السابق**، ص182.

[1]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص183.

[2]-زهير إحدادن وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص74.

[3]-عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2013، ص463.

4 -إنّ سياسة حكم محسن بن القائد كانت فترة قصيرة وذلك بسبب أعماله الشنيعة الّتي ارتكبها في حق أبناء عمومته بالإضافة إلى سوء سياسته وعدم أخذه بنصيحة أبيه. للتوسع أنظر، ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص317، أنظر كذلك، عويس، **المرجع السابق**، ص118.

هاجم فاس سنة 454هـ، وقاتل المرابطين وبعد فترة تآمر عليه النّاصر بن علناس مع طائفة من الصنهاجيين إذ انتهزوا فرصة، أنّ بلكين يسير في الليل وحده وهي عادة دأب عليها بلكين بن محمد وقام الناصر حينها بقتله.[1]

5)- الناصر بن علناس:(454- 481هـ/1062- 1089م).

هو النّاصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن مناد بن زيري الصنهاجي، البربري، ملك المغرب،

وقد اتخذ بجاية[2] عاصمة له وانتقل إليها سنة 461هـ/1069م، وكان النّاصر جريئا على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء، وقد اتكأ في سياسته على أهل عشيرته الأقربين،[3] وتمثل فترة حكمه الأوج لمملكة بني حماد البربرية، كان حاكما كبيرا لمملكة صغيرة أهم مدنها أشير ومليانة والجزائر وحمزة (البويرة) ونجاوس وقسنطينة، وبعد فترة وجيزة قام الناصر باسترداد بسكرة الّتي كان حاكمها قد تمرد على بلكين.[4]

6)- المنصور بن النّاصر:(481- 498هـ/1089- 1105م).

[1]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص173، أنظر كذلك، أبو الحسن عليّ بن بسام الشنيتري: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، مج: 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939، ص79.

1-**بجاية**: بالكسر وتخفيف الجيم، وألف وياء هاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة، وهي في جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة بني حماد، أنظر الاستبصار، **المصدر السابق**، ج1، ص339.

2-شمس الدين بن الخطيب الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، مج: 18، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 1984، ص597.

3-أكدرية إريتيريا: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، ط1، 1998، ص9864- 9865.

هو المنصور[1] بن النّاصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، كان كاتبا وشاعرا ويلبس الثياب البالية والمرقعة ،[2] اقتصر المنصور على بجاية واتخذها مقر ملكه سنة 483هـ/1086م، لصعوبة المسالك إليها،[3]كان محبا للبناء والتشييد، بعد توليته الحكم وصلته تهاني وتعازي تميم بن المعز الأمير الزيري ويوسف بن تاشفين ملك المرابطين في نفس الوقت، إلا أنّ هذا التواصل الودّي لم يستمر، إذ كانت خطة من خطط الزيريين والمرابطين والأعراب، لإضعاف الدولة الحمادية وإسقاطها والسيطرة على أراضيها في إطار عدوّ العدوّ صديق وهذا بتمرد تميم بن المعز والذي شارك بإغراء المرابطين لغزو بني حماد مما زاد باستياء المنصور الذي بادر برد فعل الثورة واستطاع[4] أن يسترجع تلمسان من المرابطين، توفي المنصور بن النّاصر سنة 498هـ/1104م، بعدما دام حكمه سبعة عشر سنة.[2]

7)- باديس بن المنصور:(498هـ/1105م).

هو باديس بن المنصور بن النّاصر بن علناس، تولى باديس الحكم بعد وفاة أبيه سنة 498هـ، فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لأول ولايته، وخرج من القلعة إلى بجاية فنكب سهاما لعامل بجاية،[3] ويقول ابن الخطيب: الّذي يكاد يتفق مع ابن خلدون،" كان شديد البأس، عظيم

[1]-تولى المنصور بن الناصر الحكم وعمره سبعة عشر سنة.

[2]-محمد طمار: **المغرب في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص119.

4-مختار حساني: **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص151، أنظر كذلك، السويدي، **المرجع السابق**، ص36.

[4]-أحمد بن محمد أبو رزاق: **الأدب في عصر الدولة الحمادية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص55.

[2] جمال السويدي: **شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر القديم (من القديم إلى 1830)**، تر: فائزة بوردوز، منشورات التل، الجزائر، 2007، ص36.

[3] عثمان سعدي: **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص413

السطوة، سريع البطش، فيحكى من جملة فظاظته،[4] أنّه ألقى رجلا صالحا إلى الأسود، فبات ليلته معها".[5]

8)- العزيز بالله بن المنصور:(498-515هـ/1105- 1121م).

هو العزيز بالله بن المنصور بن النّاصر، تولى بعد وفاة أخيه باديس، اكتسح في عهده بنو هلال مدينة القلعة،[6] يقول ابن الخطيب يصف العزيز:" كان حسن الخلق معدل الطريقة"، وذكر أيضا:" هو الّذي استوطن بجاية، ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب"، وقال:" وكانت أيامه أعيادا لحسنها وجمالها".[1]

9)- يحي بن العزيز بالله: 515- 547هـ/1121-1152).

هو يحي بن العزيز بن المنصور بن النّاصر، وقد ذكر ابن خلدون أنّ يحي كان" مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد"، قام باستحداث للسكة، "ولم يحدثها أحد من قومه أدبا مع خلفائهم

[4] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص96، أنظر كذلك، ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 175.

[5] مهما كان موت باديس فمن حسن الحظ لم يستمر حكمه طويلا وإلا فإنّه لم يسلم منه شعبه وحتّى أهل بيته، فقد ذكر ابن الخطيب إنّه كان يتوعد أمه بالقتل، فلهذا اضطرت امه إلى تسميمه وقتله قبل أن يقتله.

[6] - سعدي، **المرجع السابق**، 414.

[1]-ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص96.

العبيديين"،[1] عاش بقية حياته عند عبد المؤمن بن عليّ[2] في مراكش بعد سقوط دولته، توفيّ فيها سنة 558هـ/1167م.[3]

ب)- الأوضاع العامة لبلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي:

عندما انتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة 361هـ/972م، عيّن بلكين بن زيري واليا على جميع المغرب ما عدا طرابلس وكتامة، وكان هذا بداية لظهور الدولة الصنهاجية بإفريقية والمغرب الأوسط الّتي تفرعت عنها الدولة الحمادية.[2]

-**العبيديين**: سلك العبيديون الفاطميون مسلك العباسيون عند تأسيس دولتهم فمهّدوا بالدعوة إلى الفكرة الشيعية في مصر والمغرب واليمن، وأصبح لها أتباع من هذه البلاد، وكان داعي دعاتها ابن حوشب، عمل على نشر الدعوة للعبيديين الفاطميين في بلاد المغرب منذ سنة 280هـ، ثمّ بشمال إفريقية سنة 289هـ. للتوسع أنظر،[1]

3-**عبد المؤمن بن عليّ**: يتصل نسب عبد المؤمن بن عليّ بقبيلة كومية الّتي تعتبر إحدى بطون بني فاتن، ولد سنة 487هـ، بقرية صغيرة تسمى"تاجرا"، تقع بالقرب من مدينة ندرومة. للتوسع أنظر، صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن عليّ مؤسس دولة الموحديين**.

-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 180، محمد الطمار: **الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص145.[3]

[1] صالح فركوس: **تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفنيقي إلى نهاية الدولة الزيانية**، ج1، مديرية النشر قالمة، الجزائر، 2011، ص46

وفي عام 386هـ/996م، توفي المنصور بن زيري وخلفه ابنه باديس الّذي عقد سنة 387هـ/998م، ولاية أشير[3] لعمه حماد الّذي اشتهر في عهده وكان مخلصا لابن أخيه في البداية، وبعد سنتين من اشتعال ثورة زناتة في المغرب الأوسط وإفريقية سنة 389هـ/998م، على الأمير الزيري باديس بن المنصور كلّف حماد للقضاء عليها، وقد نجح في إخمادها سنة 395هـ/1002م، فاشترط بذلك حماد على باديس أن يوليه المغرب الأوسط والزاب، وكلّ أرض يفتحها من بلاد زناتة، وقد دفعه هذا التمكن إلى بناء القلعة سنة 398هـ/998م، وقام بإنشائها في موقع حصين ومنيع تحسبا لحدوث تقلبات وأزمات سياسية، واتخذها مركزا لولايته الواسعة.[1]

وقد أثارت الانتصارات الّتي حققها حماد وسلطانه الواسع حسد خصومه وقرابته فأوغروا صدر الأمير باديس عليه، فأراد بذلك اختبار طاعة حماد له، فطلب منه تسليم قسنطينة وتيجيس والقصر الإفريقي لولي عهده المنصور، فأغضب طلبه هذا حماد وأبى لذلك، وأعلن استقلاله سنة 405هـ، وخطب للخليفة العباسي القادر بالله، ومن هنا يظهر ميلاد دولة جديدة، تفرعت عن الدولة الزيرية،[2] إضافة للاضطرابات ضد الشعبين الّتي ظهرت في إفريقية وإصرار حماد أديا إلى تقسيم الدولة إلى إقليمين منفصلين،[3] وبهذا يمكن القول: إنّ أحفاد بلكين في أوائل القرن الخامس انقسمت المملكة الزيرية إلى قسمين: المملكة الزيرية، وتشمل معظم بلاد المغرب الإسلامي، القسم

[2] **أشير**: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البرّ، كان أول من عمرها زيري بن مناد، نزل بأشير وهو موضع خال، كثير العيون وحسن المنظر، جاء بالبنائين من المدن الّتي حوله، وهي المسيلة وطبنة، وشرع في البناء سنة 334هـ، وتملكها بعده حماد ، وهي تقع قرب مدينة المدية حاليا. أنظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ص202-203.

[3]-مختار حساني: **تاريخ العسكري للجزائر**، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص.64

[2]-خضر، **المرجع السابق**، ص76.

[3]عبد الرحمان دويب: **تاريخ مدن الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص505.

الأول وهو القسم الشرقي في الشمال وعاصمتها القيروان، توارثها أبناء المعز بن باديس، والقسم الثاني هو القسم الغربي وعاصمته القلعة ثم بجاية.[1]

شرع حماد في بناء دولته وتمصيرها سنة 398هـ/1007 - 1008م،[2] كما قام حماد باختطاط القلعة بجبل كتامة،[3](المعاضيد)[4] واستكثر فيها من العمران وشيّد فيها القصور والمراكز العلمية كالمساجد والكتاتيب والفنادق فأمّها العلماء وطلاب العلم والمعرفة وأرباب الحرف والصنائع،[5] ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وجراوة من المغرب وخربهما.[6]

ثم انتقل النّاصر إلى بجاية واتخذها عاصمة له، ويرى البعض أنّ بناء النّاصر لبجاية يرجع إلى مجرد الخوف من غزوات الهلاليين، وتفاديا للحروب مع بني عمومتهم الزيريين،[7] وخاصة عندما كسر عسكر النّاصر بن علناس، وذلك سنة 457هـ/1065م، وكان ذلك في معركة سبيبة،[2] ولم ينج النّاصر إلا بفضل تضحية أخيه القاسم الّذي ساعده في اللجوء إلى قسنطينة.[3]

كان رئيس الدولة الحمادية يلقب بالأمير أو الملك، وكانت الدولة الحمادية ذات طابع حربي عسكري بسبب ما يحيط بها من أخطار دائمة، سواء مع الشرق أبناء عمومتهم، أو الغرب حيث

---

[1]-السويدي، **المرجع السابق**، ص58.

[2]-حساني، **التاريخ العسكري**، ص65.

[3]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص183

6-**المعاضيد**: تعني التدرج لكلمة التعاضد الّتي تعني التعاون والتكاثف وهي السمة السائدة بين السكان إلى اليوم، ويقع الجبل بين ولاية المسيلة وبرج بوعريريج، واستمدت المعاضيد تسميتها من قبيلة المعاضيد التميمية.

[5]-حساني، **التاريخ العسكري**، ص65.

[6]-ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص183.

[7]-عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، شركة سوزلر، القاهرة، ط2، 1992، ص100.

[7]ص100.

[2] **سبيبة**: مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة، وعليها سور من حجارة حصينة ولها ربض فيه الأسواق والخانات، كثير البساتين والفواكه، ومنها إلى مرجمانة قرية وهي لهوارة وفيها أسواق حسنة، ومنها إلى مجانة ذات سور من الطابية. أنظر، **معجم البلدان**، ج5، ص45

[3] السويدي، **المرجع السابق**، ص40

المرابطون ثم من بعدهم سيطرة الموحدين، أو من الشمال حيث الخطر النورماندي القادم من الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط أو جنوب أوروبا وهذا ما سأقوم بدراسته لاحقا، كما كانت هناك ثورات داخلية في عهد النّاصر بن المنصور كثورة أهل بسكرة في إفريقية، والّتي قام هذا الأخير بقمعها وإخمادها، بالإضافة إلى ثورة زناتة الّتي أرهقت كاهل الدولة منذ مهدها.[4]

بعد اجتياح عرب بني هلال بلاد المغرب، وخاصة المغربين الأدنى والأوسط، شعر تميم بضعف سلطته على المقاطعات الهامة والمدن، واجتياح أعيان صنهاجة لاستيلائه على الحكم واتهموه بعدم قدرته على توفير الأمن لهم فأعلنت كلّ من صيفاقس وإفريقية ولاءها لقلعة بني حماد الّذي أرسل إليهم النّاصر حاكما وفرقا من الجيش.[5]

كانت بجاية دار ملك بني حماد الصنهاجيون الّذين تنسب قلعة بني حماد إليهم وقد كانوا يملكون من قسنطينة المغرب إلى غاية موضع يسمى بسويسرات وقد تقدم هذا الموضع بينه وبين بجاية قريب حيث بلغ تسع مراحل.[1]

ثانيا)– نصارى جنوب غرب أوروبا:

أ)– تعريف كلمة النصرانية:

–النصرانية لغة:

قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام، من أرض الجليل" وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية".[1]

---

[4] **نفسه**، ص39

[5] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص184

[1] **نفسه**، ص184.

-النصرانية اصطلاحا:

هي دين النصارى، الّذين يزعمون أنّهم يتّبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل.[2]

ويطلق عليهم القرآن الكريم مصطلحات ثلاث:

هم **النصارى**[3] يقول الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** "[4]

وهم **أهل الكتاب**[5]، بالجمع بينهم وبين اليهود يقول الله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين**"[6].

وهم **أهل الإنجيل**[7]، يقول الله تعالى: "**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**"8.

ويسمون أنفسهم **بالمسيحيين** نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم المسيحية.[9]

أول من دعا النصارى" بالمسيحيين" كان في أنطاكية حوالي سنة 42م، ويرى البعض أنّ ذلك أول الأمر كان من باب الشتم.

1-سعود بن عبد العزيز: **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، مكتبة أضواء السلف، م ع السعودية، ط1، 1997، ص121.

2-**نفسه**، ص 121.

3 **نفسه**، ص 121.

4 **الآية** (62) سورة البقرة.

5 سعود، **المرجع السابق**، ص 121.

6 **الآية** (15) سورة المائدة .

7 سعود، **المرجع السابق**، ص 121.

9 سعود، **المرجع السابق**، ص 121.

ولم ترد هذه التسمية في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، وهي تسمية لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح عليه السلام وتبديلهم التوحيد بالشرك، فالأولى أن يطلق عليهم النصارى، أو أهل الكتاب.[1]

قال الله تعالى:(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**)[2].وهذا دليل تركهم وانحرافهم عن دين التوحيد.

ب)- النورمان: Nourthmen:

[1] سعود، **المرجع السابق**، ص 121

[2] **الآية** (20) سورة المائدة .

تعود أصل لفظة النورمان من نرثمن، ومعناها رجال الشمال، وهم اليوم في دول النرويج والدانمارك، انتشروا في شرق أوروبا، وانتقلوا أيام شرلمان إلى الغرب وسكنوا حوالي الأودية الفرنسية، واستقروا سنة 299هـ/911م، بنورمينديا إحدى كور فرنسا،[1] واستولوا على جزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا وأصبحت تابعة للنورمان (الشماليين) الّذين أتوا في أوائل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي من بلاد نورمينديا إلى جنوبي إيطاليا مرتزقة يطلبون الخدمة في حروب الدويلات اللمباردية[2] والولايات البيزنطية، وكانت القرصنة بالبحر أهم أعمالهم، وهجموا على الأندلس من ناحية اشبونة سنة 299هـ.[3]

ويعتبر النورمان في التاريخ من طلائع النشاط الّذي حرّك أوروبا إلى دفع المسلمين عن فتوحهم المطلة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وقد ساهموا من بعد استيلائهم على صقلية في الحروب الصليبية أيضا.[4]

ولم يكن للنورمان قبل بالأساطيل الحمادية حتّى جاء الهلاليون وضعفت دولة صنهاجة بانقسامها، وباستيلاء العرب على أراضيها واستنزاف ماليتها بالعطاءات تسكينا لثوراتهم.[5]

1- سعيد عبد الفتاح عاشور: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص150، مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2014، ص775.

2-**اللمبارديون**: شعب جرماني من أصل إسكندافي، وهم آخر الشعوب الجرمانية الّتي اقتحمت الإمبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها، وقد أقاموا في القرن الأول عند وادي نهر الأودر والجزء الأدنى من نهر الألب، كان اللمبارديون من أعنف العناصر الجرمانية الّتي غزت إيطاليا وأشدها قسوة. أنظر سعيد عبد الفتاح: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص109-111.

3-عاشور، **المرجع السابق**، ص الميلي، **المرجع السابق**، ص775.

4- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي: **رحلة ابن جبير**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1907، **مقدمة المحقق**، ص 16.

5- عاشور، **المرجع السابق**، ص 150، الميلي، **المرجع السابق**، ص775، أنظر **الملحق رقم (2)** الّذي يوضح ملوك النورمانديين.

والدولة النورماندية في صقلية، بحكم وضعها الجغرافي والزمني، في الواقع كانت قمة نماذج الحكم والإدارة والثقافة والمدنية في التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، إذ التقت فيها المدنيات والثقافات الرومانية والمسيحية والبيزنطية والجرمانية والإسلامية والنورمانية، وامتزجت هناك مزجا لم يتم مثله في غيرها من البلاد.[1]

وقد وصفهم أحد المؤرخين بأنّهم: شعب يعيش على الخداع والانتقام، وأنّ الفصاحة والرياء من الصفات المتوارثة من جيل لآخر، وجمعوا بين النقيضين الجشع والإسراف، وتعطشهم الشديد والمتلهف إلى الثروة والسلطان، وكذا حبهم الشديد للأسلحة والخيول والثياب المترفة ورياضة القنص والصيد، ولكنّهم عند الشدائد يستطيعون تحمل الصبر وقسوة المناخ ومشاق الحياة وعسرتها.[2]

[1]-ابن جبير، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص16.

2-نيفين ظافر حسيب الكردي: **الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي العشر**، ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 2011، أنظر كذلك، ميلود بن حاج: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206هـ/822 – 854م)**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008، ص41.

الفصل الاول

الفصل الأول: العلاقات السياسية بين الحماديين والنصارى.

تمهيد الفصل الأول:

التزم الحماديون سياسة الهدوء وعدم فتح أدنى باب للصراع مع الدول الأوروبية النصرانية،[1] وهذا بسبب الموقع الوسيط للدول الموجودة في المغرب، وتعتبر كحاجز بين المرابطين والنورمان، إضافة إلى العلاقات المغربية الداخلية القائمة بين دول المغرب الإسلامي، كانت أغلبها علاقات تفكك وصراع، لذلك لم يحاول ملوك الدولة الحمادية فتح باب جديد من أبواب الصراع على أنفسهم، حتّى ولو كان هذا الباب جهادا مقدسا ضد النصرانيين.

اكتفى الحماديون بالصراعات من الجانبين الشرقي من بني عمومتهم الزيريين، ومن الجانب الغربي حيث الوجود المرابطي، فوطدت علاقاتها من الجبهة الشمالية الخارجية،[2] وقد استغلت القوى الأوروبية هذه السياسة وعملت على تعميق هذا الجانب واستغلاله لتوطيد الصلة مع بني حماد بما يحقق مصالحها وأهدافها ورغباتها البعيدة المدى من وراء هذه السياسة الحكيمة، [3]كما تعامل ملوك الدولة الحمادية مع كلّ الأديان والطوائف النصرانية في بلادهم بكلّ احترام، كما قاموا بالإحسان إليهم، حفاظا على استمرار دولتهم، واستقطابا لتعميرها.[4]

كان عصر الحماديّون أظهر العصور الإسلامية في تاريخ حرية الأديان واحترام العقائد بالمغرب الأوسط على الإطلاق منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى القرن الرابع الهجري.[5]

1-النويري، **المصدر السابق**، ص 153، أنظر كذلك ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص476، أنظر كذلك، عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، ج2، مدبولي، القاهرة، دت، ص382.

[2]-عويس، **المرجع السابق**، ص185.

[3]-الغنيمي، **المرجع السابق**، 381.

[4]-محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص143.

[5]-بورويبة، **المرجع السابق**، ص120، أنظر كذلك، عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ط8، 2010، ص382، أنظر كذلك، الميلي، **المرجع السابق**، ص445.

لم يقدر النورمان على التوسع إلا في المملكة الشرقية الضعيفة، ولم يرض آل باديس بتسليم مملكتهم للحماديين، وكان الحماديون يرؤن في إضعاف النورمان مساعدة لهم على امتلاك مملكة بني عمهم الزيريين يوما ما.[1]

لم تكن العلاقات بين الحماديين والنصارى واضحة قوية إلا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري إلى غاية نهاية الدولة،[2] فقد كانت العلاقة ودية بينهم واضحة جلية في عهد الناصر بن علناس، فقد كان لبابوات روما علاقات مع هذا الأخير، والّذي سمح للنصارى ببناء كنيسة في القلعة وأبى إلا أن يكون لهم قسيسهم،[3] كما أنّ هذه السياسة لم تسر على وتيرة واحدة، فحينما وجد النصارى أنّ علاقة السلم الّتي تربطهم بالحماديين في غير صالحهم، ورأوا في الحماديين منافسا لهم في الاستيلاء على المدن الزيرية، بعد استيلائهم على جربة والمهدية سفاقص، والّتي كانوا هم يطمعون في الاستيلاء عليها، وهاجموا في هذا الوقت الحماديين بشراسة وعنف.[4]

إنّ الفترة الثانية من حكم الدولة الحمادية – مرحلة بجاية 460-547هـ، شهدت كثرة الغارات والهجمات الّتي كان يشنها النورمانديين من صقلية وبيزا وجنوة وجزر البليار على المدن الساحلية للدولة الحمادية،[5] وهذا بسبب غزو قراصنة الحماديين على سواحل بيزا وجنوة، فقام هؤلاء بغزو السواحل الحمادية انتقاما من الحماديين ظنا منهم أنهم قاموا بنقض معاهدة السلام المبرمة بينهم، واستمرت سياسة العداء هذه إلى غاية سقوط الدولة الحمادية في يد الموحدين.[6]

---

[1]–بورويبة، **المرجع السابق**، ص 160، أنظر كذلك، الميلي، **المرجع سابق**، ص555.

[2]–عويس، **المرجع السابق**، ص 185، أنظر كذلك، الجيلالي، **المرجع السابق**، ص382.

[3]–الطمار، **الروابط**، ص143.

[4]–عويس، **المرجع السابق**، ص185، أنظر كذلك، عويس، **المرجع السابق**، ص79.

5–يحي بوعزيز: **ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية**، مجلة وزارة الإعلام والثقافة في الجزائر، العدد 36، 1977، ص15.

[6]–عويس، **المرجع السابق**، ص190.

المبحث الأول: في عهد القايد والناصر.

المطلب الأول: في عهد القايد بن حماد.

كانت وضعية بونة مع مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، والّتي تعتبر من ضمن الولايات الحمادية منذ قيامها سنة 405هـ،[1] كانت تشبه وضعية بجاية، وقد حصن الحماديون مدينة بونة بأسوار حصينة ومنيعة منذ القرن الخامس الهجري، وخاصة بعد أن هوجمت سنة 426هـ/1034م،[2] بعد أن اتحدت يومئذ أمم النصرانية مع الجنويز، من سكان بيزا من الأمة الإيطالية، وهذا عندما اشتدت شوكة المسلمين على النصارى بسواحل البحر الأبيض المتوسط وجزره،[3] وهذا لكسر شوكة المسلمين، وهو هجوم بيزاني والّذي أعقبه احتلال المدينة في نفس السنة،[4] وكذا انتقاما من نشاطها البحري والحربي لاستعداد الشمال الإفريقي المقابل لها منتهزين فرصة الصراعات الداخلية بين بني عمومتهم الزيريين وهذا عند استقلال الحماديين عن الدولة الزيرية، وكذا دعاء القايد بن حماد لمذهب الإمام مالك بدلا من المذهب الشيعي، وأيضا تزامن السطو الصليبي وتركز النورمان في صقلية[4] من سنة 452- 486هـ/1060- 1091م،[5] وكان من نتائج هذا الهجوم على مدينة بونة في عهد القايد بن حماد أن تعرضت المدينة إلى الضربات

1-هناك اختلاف في المصادر، فهناك من ترى أنّ الدولة الحمادية تبدأ من سنة 405هـ، وهناك من ترى أنّها تبدأ من سنة 408هـ.

2-محمد جندلي: **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافية في القديم والوسيط**، ج1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007، ص74، أنظر كذلك، الجندي، **المرجع السابق**، ص118.

[3]- الجيلالي، **المرجع السابق**، ص359.

[4] أحمد بن قاسم البوني: **التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي مروان الشريف**، تح: سعيد دحماني، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007، ص118

5 - **صقلية:** تقع جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط، وهي تعتبر أكبر الجزر الموجودة في هذا البحر، ضمن جزر القارة الأوروبية وهي ذات حكم ذاتي في الدولة الإيطالية، عرفت جزيرة صقلية بموقعها الإستراتيجي وذلك عبر تاريخها الطويل حيث إنّها تقع على الطريق التجارية لمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وكانت تعتبر في القديم بأنّها جزء من (ماجنا غراسيا).

[6] الجندلي، **المرجع السابق**، 218.

المضادة الناتجة عن النزاعات القائمة من أجل السيطرة على البحر المتوسط، فأدت إلى تدمير المرفإ وترك المدينة خرابا، كما قاموا بتحطيم سورها وتشريد أهلها.[1]

وقد قامت بيزا باحتلال جديد لمدينة بونة الحمادية وكان هذا في سنة 442هـ، وفي نفس السنة حاول الفرنج النصرانيون المكونون من بيزا وبروفانس الفرنسية محاصرة مدينة بونة، فخرج إليهم القايد بن حماد للدفاع عن المدينة، وحمايتها من أيادي النورمانديين النصارى، والحفاظ على سلامتها وسلامة أهلها من الخراب والدمار، ومحاربة السياسة التنصيرية الّتي يهدفون إلى نشرها في أوساط المغرب الإسلامي ومحو الوجود الإسلامي على الإطلاق.[2]

ويرى كريستيان كورتوا:" أنّ سكان مدينة بيزا اختاروا مدينة بونة كهدف لغاراتها لأنّ المسافة بين بونة وغلياري هي على وجه عملي أقصر مسافة موجودة بين إفريقية وسردينيا، وأنّ المراكب كانت بطبيعة الحال تسلك هذا الطريق في العصور الوسطى"[3]

ويذكر هادي روجي إدريس أنّه تم العثور على دلائل تثبت حدوث هذه الهجومات، والأمر الّذي شجع أهل بيزا[4] هو النجاح الّذي أحرزوه في جزيرة سردينيا، فهجموا على مدينة بونة[5] في سنة 426هـ/1034م واستولوا عليها، ويؤكد روجي إدريس: أنّه تم العثور على نقيشة غير مؤرخة

1-سعيد دحماني: **من هيبون بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007، ص118.

2-حاجيات وآخرون، **المرجع السابق**، ص137.

3-حساني، **الحواضر**، ص 77.

4- **بيزا**: مدينة إيطالية تقع في إقليم توسكانا على مقربة من البحر المتوسط بين مدينتي فلورنسا وليفورنو، تبعد عن مدينة ليفورنو حوالي 20كلم شمالا، تشتهر بوجود برج بيزا المائل، وبها أهم مطار في توسكانا وهو مطار غاليليو.

5-هادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م**، ج1، تر: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص298.

في كاتدرائية بيزا تخلد ذكرى هذا العمل الباهر الذي ساهمت فيه حسبما تبدو بعض السفن القادمة من البروفانس.[1]

ويؤكد البكري قول كورتوا بأنّ بونة قريبة من سردينيا[2]، يقول:" من مرسى بونة تخرج الشواني[3] غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردينيا وكرسكا وما والاها.[4]

1-**بونة**: بالضم ثم السكون، مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القرينة وأكثر فاكهتها من باديتها وبها معدن الحديد وهي على البحر، ينسب إليها أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني. أنظر، **معجم البلدان**، ج2، ص50.

2- **سردينيا**: هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط بعد صقلية وقبل قبرص، هي إقليم ذاتي الحكم من إيطاليا، ويجاورها كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية.

3-**الشواني**: هو نوع من أنواع السفن، وربما تكون سفن حربية على حد قول البكري، تخرج غازية، السفينة الحمادية التّي كان يستخدمها الحماديّون في الحروب، للتوسع ارجع إلى، البكري، المصدر السابق، ص50، **أنظر الملحق رقم (03)**.

4-أبو عبيد الله البكري: **المسالك والممالك**، ص50.

المطلب الثاني: في عهد النّاصر بن علناس.

تميزت سياسة النّاصر بن علناس الحمادي بحرية الأديان واحترام العقائد بالمغرب الأوسط أكثر من أيّ وقت مضى،[1] وهذا بفضل العلاقات الّتي أقامها هذا الأخير مع رئيس الكنيسة البابا جريجوري السابع،[2] والّتي تشكل انحرافا عن المألوف فلم يسبق لأيّ حاكم من حكام المغرب الإسلامي سواء الفاطميون أو ملوك القيروان من بعدهم، وحتى بنو حماد أنفسهم لم تكن لهم أيّة صلة بالكنيسة أو رئيسها، فقد دخل النّاصر بن علناس في علاقة ودية للغاية مع البابا جريجوري السابع في أواخر حياته[3] وحتّى مع مدن الساحل الإيطالي، وكان مما توصلا إليه إقامة أسقفية في بونة، وترك لهم حرية انتخاب قسيسهم، ففي سنة 469هـ/1076م، مقدم مطران[4]قرطاجنة قسيسا اسمه سرفاند ليتولى أسقفية بونة.[5]

وهيأ هذا الاتفاق الودي بين النّاصر والمركز البابوي نوعا من الأمان للقضايا النصرانية، ومبالغة في تعميق الود استغل النّاصر فرصة سفر سرفاند إلى البابا جريجوري السابع فحمله هدايا جليلة، مصحوبة برسالة ودية إلى البابا، كما قام النّاصر بشراء جميع الأسرى النصرانيين الّذين عثر

---

[1]-الطمار، **الروابط**، ص143.

2-**جريجوري السابع**: هو أكبر وأهم من تولى الكرسي البابوي عام 1073م، في العقيدة الثيوقراطية (كلمة يونانية تعني حكم الله، في وثيقة تشرّع، أول من شرع سلطة الكنيسة الّتي باتت تمتد لتشمل الدولة نفسها، خاض صراعا مريرا مع الإمبراطور هنري الرابع فانتصر عليه وسن عدة قوانين كهنوتية في إطار ما عرف بـ " الإصلاح الجريجوري"، لقد بنى هذا البابا إصلاحه في هذا المجال على فكرة الحرب المقدسة في شكلها العبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصر الوسيط**، ص260.

[3]-إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص177.

4-**المطران**: رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك وفوق الأسقف، وهو جمع مطارنة، مطارين: رئيس الكهنة عند النصارى. أنظر **المعجم الجامع**.

[5]-عويس، **المرجع السابق**، ص187.

عليهم بمملكته وأرسلهم هدية إلى البابا، كما وعده بعتق كلّ أسير نصراني يعثر عليه من بعد، وتعتبر مبادرة النّاصر مبادرة حسنة والّتي كان لها وقع حسن بين كبار الكنيسة المقربين.[1]

وليت النّاصر طلب من البابا العمل بالمثل فيحرر أسرى المسلمين عنده، فيكون ذلك منقبة في سيرته وشفيعا فيما أقدم عليه من بناء الكنيسة للنصارى في بجاية، عندئذ يحمده الأولون والآخرون.

ويقول كريستيان كورتوا: أنّ البابا جريجوري السابع عقد اتفاقا مع النّاصر وهذا بعدما غزا الأمير تميم الساحل الإيطالي لإعانة مسلمي صقلية في محاربتهم للنورمانديين، فأراد البابا الصلح مع الأمير الحمادي خوفا من أنّ يساعد النّاصر بن علناس تميم في محاربته للنصارى، فقد وجه البابا رسالة إلى الملك الحمادي لكي يمنع بني عمومته من اضطهادهم للنورمان، وكان هدف الرسالة هو عدم اتحاد الصنهاجيين لغزو النورمانديين النصارى، الّذين كانوا يضطهدون المسلمين الموجودين في الأندلس وصقلية، إثر حروب الاسترداد الّتي قام بها الأوروبيون في تلك الفترة.[2]

وأجد أنّ النّاصر كان مقصرا في التعامل مع المسلمين في صقلية ولهذا كان بإمكان النّاصر استغلال الظروف الّتي تمر بها أوروبا في تلك الآونة من فتن، وكذا الحروب النورماندية التوسعية فقد احتلوا فرنسا وجزر البليار وصقلية وإيطاليا، وكان على الناصر أن يبادر ويسترجع العالم الإسلامي من الآيادي النورماندية، وبهذا يمكن أن تكون هناك بصمة للحماديين في حكم الأندلس وما جاورها كما فعل المرابطون قبل ذلك بمساعدة ملوك الطوائف والموحدون فيما بعد.

[1]-الطمار، **المغرب**، ص205.

[2]Christian Courtois : Grégoire VII et l'Afrique du Nord , Revue Historique, 1945, pp 208.

بعد عودة سرفاند إلى المغرب أرسل معه البابا كبار رجال الكنيسة وحمله رسائل شكر وثناء إلى النّاصر، وبعث له رئيس الكنيسة أيضا رسالة سنة 469هـ/1076م، وتعد من أهم الرسائل من بابوات روما إلى ملوك المغرب الإسلامي.[1]

وتعد رسالة البابا من أهم رسائل بابوات روما إلى ملوك المغرب، تدل على العلاقات الودية الّتي جمعت بين المسلمين والنصارى وعلى تسامح ملوك بني حماد الديني،[2] وتعتبر هذه الرسالة تحفة دبلوماسية – دينية في فن المجاملات.[3]

وجاءت يومئذ بعثة من رجال الكهنوت من طرف البابا إلى بجاية تردد آيات الشكر والثناء معترفة بفضل النّاصر ومنته على النصارى،[4] وقد أهمل المؤرخون الإشارة إلى بادرة يمكن أن تعتبر في مستوى مبادرة هارون الرشيد باتصاله بشرلمان، قبل ذلك بقرنين.

وإذا كان من الممكن أن نفكر في أنّ النّاصر بن علناس قد رأى أن يحيط اتصالاته بالبابا جريجوري السابع واستقباله للرسل بالكتمان لسبب من الأسباب الّتي لا يمكن تصورها، فكيف يمكن أن نفكر في أن يفوت المؤرخون العرب معرفة أخبار النشاط والجهود والأموال الّتي بذلها للعثور على الأسرى النصارى في مختلف أنحاء المملكة وعتقهم.[5]

ويعتقد دو ماس لاتري ربما لا يوجد بابا آخر عبّر عن وده لأمير مسلم بمثل هذا التدفق، نظرا لوجود تعصب النصارى للمسلمين، والواضح أنّ المبادرة الأولى جاءت من النّاصر بن علناس، ويتضح ذلك في طلبه من البابا بأن يقوم بتعيين القس سرفاند أسقفا للنصارى في عاصمته، وهو

[1]– الطمار، **الروابط**، ص143، أنظر نص الرسالة باللغتين العربية واللاتنية في **الملحق رقم (04)**

[2]–الطمار، **الروابط**، ص144.

[3]–العربي، **المرجع السابق**، 179، أنظر كذلك، بورويبة، **المرجع السابق**، ص120.

[4]–الجيلالي، **المرجع السابق**، ص375.

[5]–العربي، **المرجع السابق**، ص180.

أمر يجب أن يترك لأبناء الطائفة النصرانية في دولته، كما قام بتحرير الأسرى النصارى في مملكته، ووعد بأن يحرر كلّ نصراني.[1]

ويرجع كريستيان كورتوا، بأنّ تحرير الناصر للنصارى إنما هو تحرير يهدف من خلاله لا في بناء عاصمته بجاية، واستقبل البابا مبادرة النّاصر بن علناس بحماس شديد، وهو نفسه البابا جريجوري السابع الّذي وصف المسلمين بأنهم كفار وثنيون، وبأنهم أمة فاسدة ومنحرفة، أما في الرسالة الّتي بعثها للناصر ردا على رسالته الّتي بعثها له، قال فيها: بأنّه يعتبر أنّ المسلمين والنصارى أمة واحدة، طالما أنّهما يعبدان إلها واحدا ولو بطرق مختلفة، وإمعانا منه في المجاملة، لم يذكر اسم المسيح عليه السلام من بداية الرسالة إلى نهايتها، مقتصرا في ذلك على ذكر الله جل جلاله، وذلك حتى لا يوجه النّاصر إلى وجود أيّ اختلاف بين العقيدتين، وتحاشى كلية ذكر عبارات التبشير الصريح الّتي نضحت بها سائر الرسائل البابوية الأخرى لحكام المغرب الإسلامي.[2]

وفي الحقيقة فإنّنا لا نملك أدنى فكرة تزيح اللثام عن سر تصرف النّاصر بن علناس، ولقد ذهب دو ماس لاتري إلى القول بأنّ السر وراء مبادرة التسامح الّتي قام بها تكمن في الأصل البربري والنصراني لابن حماد وأسرته، وهو قول مبني على فرض خاطئ بأنّ الحكام المولدين من أمهات نصرانيات أجنبيات لا بد وأن يكونوا أكثر تعاطفا مع الغرب النصراني، وحسب تعليل كورتوا لهذا التصرف من جانب الأمير الحمادي باحتمال عدم وجود أساقفة في إمارته يتولون هذه المهمة، بعدما أصبحت قرطاجة مقر أساقفة المغرب جميعا في يد غرمائه الخراسانيين حكام تونس.[3]

هل كان النّاصر يهمّه كثيرا تعيين أسقف في عاصمته بجاية لجعلها قرينة في هذا الشأن لمدينة المهدية عاصمة قريبه وعدوه تميم بن المعز، لإثبات نجاحه فيما عجز عن تحقيقه الأمير الخارج عن

---

[1] -De Mas Latrie : **traité de piece et commerce**, p23.

[2] -Courtoi, **op**, p102.

[3] بورويبة، المرجع السابق، 166، أنظر كذلك، سامي سلطان سعد: **دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي النّاصر بن علناس في عام 469هـ/1076م**، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، الجزائر، العدد 1، 1986، ص44-45-46.

طاعته عبد الحق بن خراسان في تونس؟ أو هل كان النّاصر بن علناس يطمع في أن يمده البابا جريجوري السابع بمرتزقة نصرانيين يساعدونه في التغلب على عدوه تميم بن المعز الزيري أمير المهدية، وعلى العرب الهلالية الّذين سيطروا على أجزاء واسعة من المغرب الأقصى إذا حاولوا اجتياح مملكته، وهو أمر كان يتوقعه بالمغرب الأوسط، وهو الّذي حصل بعدما احتل المرابطون تلمسان، وبعدها وصلوا إلى حدود جزائر بني مزغنة، وقد تفهم البابا هدف النّاصر،[1] عن طريق سرفاند، الّذي يكون النّاصر قد أعرب له عن هدفه في الرسالة الّتي وجهها له عن طريق سرفاند، وقام البابا بإرسال بعثة له والّتي تكلم عنها في رسالته للنّاصر لتدبر الأمر معه باسم الشريفين الرومانيين البيريكوس، وليس باسمه البابوي حتى لا يتسبب في إثارة تميم فيتخلى عن سياسة التسامح الّتي اشتهر بها مع النصارى في مملكته.[2]

أو ربما يكون الاحتمال الأقرب دائما حسب ما يراه كورتوا، وهو أن يكون النّاصر بن علناس قد مد بصره إلى أبعد الحدود من مصلحته الشخصية وذلك أنّه في نفس الوقت الّذي اتخذ فيه النّاصر مبادرته لدى البابا جريجوري السابع، كان هذا البابا قد تحرك نحو كلّ من إسبانيا النصرانية وصقلية النورماندية بما يضر بالمصالح الإسلامية في هذين البلدين، ففي إسبانيا تم الاتفاق بين كلّ من البابا جريجوري السابع وملك قشتالة وليون، وألفنسو السادس استبدال كنائس هذه المملكة طقوسها القوطية الّتي درجت عليها الطقوس الرومانية تحت رئاسة بابا روما الروحية.

وربما من المتوقع أن تصل نتائج التحالف الّذي قام به البابا جريجوري السابع مع ملوك المقاطعات المذكورة وأن تصل أخبار هذا النشاط البابوي الضار بالمسلمين في إسبانيا وصقلية إلى النّاصر بن علناس، وذلك لقرب البلدين من بلده، والاتصالات القائمة بين سكانيهما الدائم بأهل

1-كان البابا جريجوري السابع ذكيا في تعامله مع النّاصر بن علناس عندما بعث له بعثة باسم شخصين آخرين، ولم يبعثها باسمه هو، وهذا لكي لا تعرض الطائفة النصرانية المقيمة في المهدية وتونس لانتقام تميم بن المعز من هذه الطائفة.

[2]-سلطان، **المرجع السابق**، ص46-47.

شمال إفريقيا[1] بما في ذلك إمارته في المغرب الأوسط، وكذا وصول التجار والعبيد الأوروبيين باستمرار إلى بجاية الحمادية، بالإضافة إلى وجود رجال دين نصرانيين في بجاية والقلعة، يرجح أنّهم على علم بأخبار البابا ورئيسهم الروحي، وقد توصل كورتوا بأنّ النّاصر قد شعر بالخطر يتهدد أولائك المسلمين، أراد أن يكسب صداقة البابا جريجوري السابع لكي يهيّأ لنفسه الفرصة باسم هذه الصداقة ليتوسط لصالحهم لدى هذا البابا.[2]

إضافة لمعرفة النّاصر بالنشاط البابوي بمحاولة إصلاح ذات البين بينهما والتحالف من أجل إعداد حملة صليبية ضد السلاجقة[1] انتقاما منهم للهزيمة الّتي ألحقوها بالدولة البيزنطية، ثم علمه بالصراع الّذي تفجر في أواخر عام 467هـ/1075م، بين القطبين المسيحيين،[3] وبما أنّ الإمبراطور قد عزل البابا في 468هـ/1076م، فأراد النّاصر أن يعقد مع البابا في ذلك الوقت تعزيزا لموقفه في النزاع بين زعيمي النصرانية من شأنه أن يعرقل الحملة الصليبية على إلحاق الهزيمة بالسلاجقة في الشرق الإسلامي، من جهة ويؤثر في الصراع الدائر بين المسلمين والنصرانيين في إسبانيا وصقلية بما لا يكون في صالح الجانب النصراني من جهة أخرى.

وعلى كلّ فهذه اجتهادات في محاولة للوصول إلى ما يمكن أن يكون دوافع معقولة لمبادرة النّاصر، أما فيما يتعلق باستجابة البابا لمبادرة النّاصر فهو أمر طبيعي، لأنّ البابا كان يهمه تعيين أكبر عدد ممكن من رؤساء رجال الدين النصرانيين في المغرب الإسلامي، وضمان الأمان لهم في بلاد المسلمين.

---

[3] - أتساءل ماذا لو اتفق النّاصر بن علناس مع ابن عمه تميم بن المعز، وبعث رسالة إلى عبد الحق بن خراسان والمرابطين، وشكلوا تحالفا، لما كان كلّ هذا التخوف من النّاصر على مملكته الواسعة، لو قام بمثل هذه المبادرة مع هؤلاء لكانت كلّ المملكة تنعم بسلام في رقعتها، ولا يفكر النصارى يوما ما في احتلال الأراضي الإسلامية لا في أوروبا ولا في بلاد المغرب الإسلامي ككلّ، لكانت المبادرة الّتي قام بها النّاصر ببعث الرسالة لم تقم بالأساس، لقام بها البابا بالأول خوفا من قوة المسلمين، لكي يحافظ على مكانته وكيانه والوجود النصراني بصفة عامة

[2] سلطان، **المرجع السابق**، ص46 – 47.

[3] **السلاجقة**: هم مسلمون في الشرق.

وتدل عبارات المجاملة والود من البابا في رسالته، والّتي لم يسبق لبابا آخر أن وجهها لعاهل مسلم، فإنّ ذلك انعكاس للفرحة البالغة الّتي غمرته بسبب المبادرة ليس فقط بأنّها الأولى من نوعها، وإنما جاءت في وقت شهد انهيارا سريعا في الكنيسة المغربية، تمثل في نقصان رؤسائها وتدهور أخلاق جمهورها، والّتي جاءت بعد ثلاث سنوات من تعرض أسقف قرطاجة المدعو قرياقص للمعاملة المهينة الّتي تعرض لها وكذا الزج به في السجن على يد ابن خراسان أمير تونس، لأنّه رفض الاستجابة لتنصيب أسقف على كنيسة تونس، وذلك أنّه يتعارض مع قانون الكنيسة الرومانية، بالإضافة إلى رغبة البابا في تشجيع النّاصر بن علناس على سياسة التسامح الديني الّتي انتهجها إزاء النصارى و النصرانية، والوفاء إليه بإطلاق سراح جميع الأسرى الّذين يجلبون إلى مملكته، فضلا عن منع رعاياه من إلحاق الضرر بالسفن أو السواحل النصرانية – في إطار ما يعرف بالقرصنة المتوسطية– والّتي ستكون فيما بعد سببا في انتعاش الاقتصاد الأوروبي.[1]

كما يرى دو ماس لاتري وبارجيس، بأنّ البابا جريجوري السابع كان يهدف من وراء ذلك الإعداد لتنصير النّاصر، أو إلى تعاونه مع مسيحي إسبانيا وصقلية، كما لا يستبعدون أن يكون له صلة بالحلف الّذي هاجم المهدية في عام475هـ/1087م.[2]

[1]-**نفسه**، ص49-50.

2-**نفسه**، ص50، أنظر كذلك، الطمار، **الروابط**، ص144، أنظر كذلك، الطمار، **المغرب**، ص211، أنظر كذلك، عويس **المرجع السابق**، 184.

المبحث الثاني: في عهد العزيز بالله ويحي.

المطلب الأول: في عهد العزيز بالله.

كانت العلاقات بين الحماديين والنصارى تتدهور شيئا فشيئا بسبب الحروب الّتي نشبت بين الحماديين وبني هلال وبين زناتة وبني هلال داخل البلاد وبين الإيطاليين والصقليين من جهة وبين بني حماد من جهة أخرى على ساحل البلاد،[1] وكذلك حملات القراصنة المتبادلة بين الحماديين والنصارى والّتي أدت دورا كبيرا في تدهور موانئ هامة، مثل: جيجل والقل وشرشال وبونة، والّتي تأثرت كثيرا من الحملات الصليبية بحكم موقعها الجغرافي القريب من مواقع الصليبيين في صقلية وغيرها.[2]

وتعد الفترة الثانية من الحكم الحمادي أي مرحلة بجاية وخاصة في عهد العزيز بالله والّذي حاول أن يحافظ على علاقات الوّد الّتي خلفها جده النّاصر بن علناس، ولكنه فشل في ذلك وهذا بسبب وجود القراصنة في المملكة الحمادية والّتي كانت غايتها النهب والتخريب،[3] والّذين

1-رشيد بورويبة وآخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص213، أنظر كذلك، سعدي، **المرجع السابق**، ص422.

[2]-جندلي، **المرجع السابق**، 214.

[3]-بوعزيز، **المرجع السابق**، ص15.

كانوا يغزون بيزا وجنوة بينما كانت قراصنة هذين المدينتين يهجمون على بجاية وبونة، انتقاما منهم لما فعلوه بمدينتهم.[1]

وبهذا فقد شهدت بجاية اعتداءات مستمرة من النصارى، استمرّت إلى بداية القرن 16م، وهذا في عهد الدولة الحفصية، فقد كان الأمير عبد العزيز يلقي المودة إلى الناس داخل دولته وخارجها، ولذلك عاش أهلها في سلم مديد وقد دفعهم الطمع في الإثراء فهاجموا سواحل البلاد النصرانية، فأدى إلى قيام فيرديناند بالرد دفاعا عن سواحلهم، فقام بإرسال الدون بيدري نارفانا فاستولى هذا الأخير على مدينة بجاية وكان ذلك سنة 504هـ/1510م، ومعه أربعة عشر سفينة كبيرة محملة بالجنود، فقد فوجئ أهل بجاية بهجومه ففروا إلى الجبال متحصنين بها، كما قام بيدري ببناء حصن على شاطئ بجاية وجاء بخمسة عشر ألف مقاتل استعملهم في تحصين المدينة، فسقط على إثر ذلك قتلى وجرحى كانت حصيلة لهذا الهجوم المفاجئ.[2]

وبالرغم من كلّ هذا فقد استمرت محاولات الحمّاديين للإبقاء على علاقة الود الّتي تربطهم بالنصارى، وإن كان العزيز بالله بن المنصور في سنة 508هـ/1114م، سمح بإنشاء كنيسة في القلعة دشنت باسم مريم العذراء، وكان كاهنها يومئذ عزون، ولقد لقبه العامة بلقب الخليفة تأثرا بالطابع العربي واللغة العربية، وكان بيته مجاورا للكنيسة، ويؤكد جوتيه أنّنا لا نستطيع أن نماري في وجوده.[3]

وفي نفس السنة، وقع حادث تدل نتائجه على الرغبة الملحة للحماديين في إرضاء النصارى، فقد تعرض بعض الرهبان" مون كاسان" للاختطاف من طرف القراصنة المنتمين

---

[1]-بورويبة، **المرجع السابق**، ص120.

1- الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، تح: سوزان مبارك، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005، ص422، أنظر كذلك، مارمول كاربخال: **إفريقية**، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الإسكندرية، 1989، ص377- 378.

[3]- عويس، **المرجع السابق**، ص189.

للحماديين أثناء عودتهم من سردينيا إلى صقلية، وبعد فترة وجيزة رمت عاصفة قوية وهوجاء على سواحل صقلية مكونة من مجموعة من الرهبان الّذين بعثهم المطران الأكبر لافتداء إخوانهم، وقد بادر الكونت روجيه[1] بإرسال مبعوثيه الخاصين إلى العزيز بالله ملك بجاية، فقام العزيز بالترحيب به واستقباله على أحسن وجه وقبِل وساطته.[2]

لقد غلبت على الحماديين تجاه النصارى سياسة روح التسامح الديني والود، الّتي انتهجها أغلب الملوك الحماديين، ولم يتركوا فرصة إلا استغلوها لتعميق هذه العلاقة، لكن النصارى كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة مصلحية محددة، تخص في الغالب حماية اقتصادهم وسواحلهم ورعاياهم في البلاد الإسلامية، فإذا لم يستجب لظروفهم المصلحية انقضّوا على الحمّاديين حتى يبادروا إلى الصلح، دون النظر إلى أيّة خدمات حمّادية سابقة أو أيّة عهود أو مواثيق مبرمة بينهما.[3]

[1]-**الكونت روجيه**: حاكم صقلية.

[2]- عويس، **المرجع السابق**، ص189.

[3]-عويس، **المرجع السابق**، ص183، أنظر كذلك، طمار، **الروابط**، ص143.

المبحث الثاني: في عهد يحي بن العزيز.

بينما كان آخر خلفاء بني حماد منغمسا في اللهو والصيد، بدأ إقليم إفريقية يتساقط ويهوي مثل الشهب بأيدي النورمان الواحدة تلو الأخرى، فتحرك الأمير يحي للدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين والدفاع عن جيرانه وبني عمومته وجلدته، فدخل الإقليم بجيوش جرارة جعلها تحت قيادة ابن المهلب، فحاصر هذا الأخير المهدية سنة 522هـ/1128م، ثم انصرف عنها من غير طائل.

وكان لاعتداء النورمان واستيلائهم على إقليم إفريقية، صداه وأثره البالغ في نفوس إقليم إفريقية، وأدى هذا الإعتداء إلى تذمر عظيم لدى سكان تلك النواحي ومنهم الأعراب المهاجرون، فاجتمع وفد من هؤلاء الأعراب وجاءوا إلى الأمير يحي بن العزيز يشكون إليه حالة البلاد مع الهجومات الّتي قام بها النورمان، وسوء سلوك الأمير حسن بن عليّ الصنهاجي، راغبين في بسط سلطان بني حماد على إقليم إفريقية.[1]

[1] سليمان عشراتي: **الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص123

وفي سنة 533هـ/1143م بعث روجار إلى جيجل[2] أسطولا وهاجم به المدينة وأخذها عنوة، وسفك دماء سكانها وسبى حريمها،[3] فهرب من تبقى من أهل المدينة إلى الأرياف والجبال، وقاموا بإحراق المدينة، كما أحرقوا القصر الّذي بناه يحي للنزهة،[4] وكانت من نتائج تلك الحوادث الصدامية أن أعطيت أهمية كبيرة لبجاية فالتفت إليها النورمان، إذ جعلتها الحملات الصليبية مقصد الناس الّذين كانت تضطرهم المداهمات النورماندية إلى ترك أقطارهم.[1]

كان هجوم النورمان على مدينة جيجل بسبب الهجوم المتكرر من دولة بني حماد على ولايتي تونس والمهدية، فتم الانتقام منها سنة 537هـ/1142م، وكان الغزو بقيادة أمير البحر جرجس الأنطاكي، وبعد هجرة أهل المدينة ابتنوا بلدة حصينة بأعلى جبل يبعد عنها بنحو ميل، فإذا كان زمن الشتاء سكنوا الساحل، وفي فصل الصيف حيث يسافر الأسطول النورماندي ويقوم بنقل أمتعتهم وجملة بضائعهم إلى الحسن بن عليّ البعيد عن البحر.

وأعاد النورمان الكرة بغزو السواحل الحمادية سنة538هـ/1143م، فقاموا في هذه السنة باحتلال جيجل والبرشك وشرشال وتنس.[2]

وكان قبل هذا استولى الأسطول البيزي والجنوي سنة 528هـ/1143م على مدينة بونة،[3] وقد تعرضت المدينة قبل هذا إلى هجومات عدة في القرن الخامس والسادس الهجريْن،[4] كما تعرضت مدينة تاقسدة لهجومات النصارى على منطقة الشمال الشرقي للمغرب الأوسط، ولم يكن مرسى القل بعيدا عن التهديدات الخارجية، وكان سكان هذا المرسى يرحلون عنه ويحتمون

---

[2] **جيجل**: مدينة قديمة على البحر كان لها سور قديم يضرب البحر فيه وهي على نظر كبير، كثيرة العنب والتفاح والفواكه ومنها تحمل الفواكه والعنب إلى مدينة بجاية. أنظر مجهول، **المصدر السابق**، ص128.

[3] أبي القاسم القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1286، ص91.

[2]-الجيلالي، **المرجع السابق**، ص374.

[3]-العربي، **المرجع السابق**، ص221.

[4]-البوني، **المصدر السابق**، ص74.

بالجبال المجاورة له، وكانت الجبال حصنا منيعا لسكان هذا المرسى في أوقات الحروب وهجمات أساطيل النصارى عليه.

والملفت للإنتباه أنّ النورمان لم يقتصروا على المدن الساحلية، بل شملت حتّى المدن الداخلية فقد تعرضت مدينة قسنطينة لغزو روجار ملك صقلية،[1] فكان سكانها يلجأون للقلعة عند قدوم الأسطول النورماني.[2]

وكانت العلاقات الحمادية – النورماندية علاقات عدائية محضة فقد تتابع هجومهم على المدن الساحلية للدولة الحمادية، ويعد استيلائهم على المهدية سنة 543هـ/1148م، محاولة بهذا الاستيلاء على كلّ ممتلكات الحماديين، وقاموا مرة أخرى بمهاجمة مدينة بونة لهذا الغرض.[3]

وكانت بجاية بلدة غزاة يتوغلون في داخلها، وكان النورمان يكثرون من السبي والتقتيل،[4] ومع ذلك فإنّ بقية من هذه الروح الّتي تمسّك بها الحماديون في علاقاتهم مع النصارى ظلت هذه العلاقة العدائية باقية إلى آخر أيامهم، فعندما سقطت بجاية حاضرة الحماديين بيد الموحدين واستسلم آخر أمرائها يحي بن العزيز، لحق أخوه الحارث صاحب صقلية روجار الثاني واستصرخه فأنجده بأسطول غلب به بونة، وظل بها غير سائل عن الموحدين، وهذا بمساعدة النورمان له إلى غاية سنة 522هـ/1156م، حين استولى الموحدون على بونة وقتلوا الحارث، وبسقوط بونة يعتبر هذا السقوط آخر معقل حمادي.[5]

4–**روجار الثاني**: ملك صقلية ولد 1093م، تولى الحكم سنة 1101م، تأثر بالمسلمين أيما تأثر وسلك طريقهم .... أنظر التفاصيل في كتاب **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**.

[2]–حساني، **الحواضر**، ص223– 227.

1– ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص 350، أنظر كذلك، عويس، **المرجع السابق**، ص190، أنظر كذلك، توفيق أحمد المدني: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، ص188– 189.

2–أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1979، ص45.

[5]–عويس، **المرجع السابق**، 190.

كان الملك النورماني يدرك مدى الإدراك عند مهاجمة أيّ مدينة من مدن إفريقية وخاصة عاصمتها المهدية، بعد محاولة باءت بالفشل في البداية فكان يبدأ في سرية تامة في إعداد حملة جديدة، وقد استغل حكم بني زيري الّذي آل إلى انهيار الدولة الزيرية.

كان الحماديون يرون النورمان يعينونهم على امتلاك أملاك الزيريين بني عمومتهم، لكن هذا لم يستمر إذ تغيرت العلاقات من الود إلى العداء، وسبب تغير هذه العلاقة هو الإعانة التي قدمتها الجيوش الحمادية للزيريين ضد النورمان بالمهدية وتونس، ونتيجة لذلك انتقم منهم النورمان، وأقبلوا يحتلون مدنهم الساحلية الواحدة تلوى الأخرى.[1]

وكان انتصار النورمان في جل الحروب هو دراستهم للأوضاع العامة الّتي يعيشها سكان شمال إفريقيا من صراعات ونزاعات مع جيرانهم في الشرق والغرب، والأدهى والأمر نشوب ثورات محلية والّتي أرهقت كاهل الملوك الحماديين، فقام النورماندیون باستغلال ظروف الزيريين والحماديين، فأدى هذا إلى اتحاد أمم الفرنجة النصرانيين على غرار أهل برشلونة وجنوة والبنادقة وغيرهم من دول أوروبا، وكذلك استغلال النورمان لنقد المعاهدة الّتي أبرمها النّاصر حفاظا على المملكة، لكن القراصنة الحماديين لم يتركوا مجالا لاستمرار معاهدة السلام المبرمة، فقد قام هؤلاء القراصنة من أهل بجاية وبونة باقتحام سواحل النصارى الأوروبيين، وضرب أمنهم عملا بمثل ما يعملون به من الترويع لسواحل بلاد المغربين الأدنى والأوسط.[2]

[1]- ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص170، أنظر كذلك، الميلي، **المرجع السابق**، ص629..

[2]مجلة الأصالة، **المرجع السابق**، ص11، أنظر كذلك الطمار، **الروابط**، ص144.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية بين الحماديين والنصارى.

تمهيد الفصل الثاني:

تميزت بلاد المغرب الأوسط بحكم موقعها الوسيط و الاستراتيجي، بين أهم المناطق والمسالك التجارية العالمية، مما جعلها تتحكم في أهم المسالك البحرية الواصلة بين سواحل المغرب الإسلامي والدول الأوروبية، ومن هنا عمل حكام الدولة الحمادية على توفير المراسي والمرافئ والأسواق الّتي تساعد على نجاح خدمة التجار وتوفير الأمن لهم ولسفنهم لاستمرارية هذه التجارة، وبهذا أصبحت المدن الساحلية ببلاد المغرب الأوسط تتمتع بمقومات المدن الكبيرة والمهمة والّتي شهدت تطورا خلال القرون الموالية،[1] وبهذا عقدت دول أوروبا معاهدات تجارية وقنصلية دقيقة مع بجاية،[2] أسهمت في النشاط التجاري للمدينة وأصبحت مصدرا للثروة وازدهارها، فقد كانت بجاية على علاقة مباشرة وغير مباشرة مع كلّ الفضاءات الاقتصادية المتطورة المعروفة في العالم، وخاصة مع الدول الأوروبية بحكم قرب المسافة وسهولة المسالك البحرية بينهما، ونذكر على وجه الخصوص الدول الّتي كانت تتعامل مع مدن المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية وهي: الجمهوريات الإيطالية وخاصة بيزا وجنوة، ومع صقلية والبندقية، وكذا مع جزر البليار وجنوب فرنسا،[3] وهي المدن والأقاليم الّتي كانت معها في ود تارة وفي صراع تارة أخرى كما سبق في الفصل الأول، وكانت مدينة بجاية عاصمة اقتصادية ومدينة المغرب الأوسط كما وصفها الإدريسي

1-طاهر طويل: **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، ط1، 2011، ص315.

2-الجيلالي، **المرجع السابق**، ص385.

3-دومينيك فاليرين: **بجاية ميناء مغاربي 1067- 1510**، تر: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص659.

بقوله:" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الإسلامي وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة [1]

وأهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق(...) وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير"،[2] وإذا كانت لبجاية القوة الاقتصادية وبتجارتها الكبرى، فإنما هي سبب كونها عاصمة المملكة يومئذ، وإلا ففي القلعة وبونة وقسنطينة ووهران وتلمسان من الحركة الاقتصادية ما يشابه الحياة في بجاية، وكذلك مرسى الخرز الّذي عرف بمنتوج المرجان الّذي كان يصدر إلى مختلف الدول الأوروبية.[3]

ولتطوير التجارة الخارجية للدولة الحمادية، قام حكامها بتشييد الموانئ في كلّ من بجاية والجزائر وشرشال وتنس وجيجل والقل وبونة يتم من خلالها تسهيل عملية التبادل التجاري مع دول أوروبا المقابلة لها، واستعمل الحماديون في مبادلتهم التجارية خلال فترة حكمهم العملة الفاطمية ومن ثم العباسية وكانت مصنوعة من الذهب والفضة.[4]

[1]-الإدريسي، **المصدر السابق**، ص260.

[2]-الإدريسي، **المصدر السابق**، ص260.

[3]-الجيلالي، **المرجع السابق**، ص365.

[4]-عمار عمورة: **موجز تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، الجزائر، ط1، 2002، ص61.

المطلب الأول: التجارة مع بيزا وجنوة.

ازدهرت التجارة وبلغت ذروتها بين بجاية ومختلف المدن الإيطالية كبيزا وجنو[1]ة، وقد ساعد بجاية على تحسن تجارتها ونموّها أن كان لها" داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن"،[2]وهذا بفضل الموقع والمسافات القريبة من أهم المدن الّتي كان لها دورها ومكانتها الكبيرة والبارزة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط ستؤدي هذه الأهمية للمدن إلى خلق مدينة سيكون لها هي الأخرى وزنا كبيرا في المنطقة، وخصوصا وأنّ الواجهتين البحريتين لبلاد المغرب الأوسط وبلاد النصارى مواجهة تماما لبعضهما البعض، وأدى هذا التقارب في المسافة بين الواجهتين البحريتين إلى إقامة علاقات تجارية وإبرام معاهدات قنصلية بينهما، للحفاظ على المصالح التجارية المشتركة بين الدولتين، وكانت لبيزا وجنوة خاصية كبيرة في هذه العلاقات أكثر من غيرها من الدول الأوروبية،[3] وقد تواصلت العلاقات التجارية من دون أيّ اضطراب بين المدن البحرية الإيطالية اتجاه الضفة الجنوبية من البحر المتوسط، وقد تحدث بعض الاضطرابات في عرض البحر، فقد استولت ذات مرة سفينة جنوية على سفينة بيزية واستولت على حمولة الشمع والصوف الّتي كانت قادمة من ميناء بونة، فكانت سفن بيزا تنتظر الفرصة المناسبة في خليج تونس بحثا عن إحدى سفن جنوة للاستيلاء عليها.[4]

1-**جنوة:** تعد جنوة إحدى الأقطاب الاقتصادية الرئيسية وميناؤها في الفرع التجاري وهو الأكبر بالبلاد وهي مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، وتعتبر حاضرة بحرية ومدينة ذات تاريخ مجيد وتقاليد عريقة وقوية متعلقة بالثقافة البحرية ليس بمنطقة البحر المتوسط.

2-مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، د ت، ص130.

3-طويل، **المرجع السابق**، ص301- 302، أنظر كذلك عويس، **المرجع السابق**، ص120.

4-روبار برشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م**، ج1، تر: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص137.

وأرى أنّ القرصنة والاستيلاء على السفن التجارية لم يقتصر على الأساطيل الإسلامية في شمال إفريقيا، بل شمل حتّى الاستيلاء على البضائع فيما بين المدن الإيطالية وبين الدول الأوروبية الأخرى وهذا ما سنراه فيما بعد.

وكانت تجارة البجائيين تعتمد بالدرجة الأولى على تصدير الخيول العربية والبربرية والتين والجلود المدبوغة، وقشور الدباغة والبقول الجافة والفستق والقطن والشمع وريش النعام، والذهب الّذي كان يستورد من السودان الغربي عبر ورجلان وسجلماسة، وكانت بجاية بدورها تستورد من المدن الإيطالية الأسلحة، مثل: الدروع والحراب والعقاقير الأتية من أقصى الشرق- الصين والهند- كما استوردت الخشب والورق وغيره، لأنّ بجاية كانت تحتوي على الخشب الّذي يكفيها، غير بقية المدن الحمادية الأخرى الّتي كانت تفتقر إلى هذه المادة الحيوية.[1]

وكانت بجاية، في ظل الدولة الحمادية، إحدى أكثر المدن ازدهارا وتنوعا في منتجاتها ومحاصيلها في المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص إذ تطل على منطقة واسعة، وليس بينها وبين المدن الأوروبية إلا أميالا، مما شكّل منها عامل جذب لتجار الضفة الأخرى من المتوسط الّذين يأتون إلى المدينة بحثا عن الصوف والجلود والشمع.[2]

وهناك أخبار تحدثت عن وقوع هجوم شنّته إثنتا عشرة سفينة شراعية جنوية على مدينة بجاية وذلك سنة 530-531هـ/1136م، ونتج عن هذا الاستيلاء رجوع قوادس[3] مصحوبة

[1]-محمد شريف سيدي موسى: **مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية**، دار كرم الله، الجزائر، 2011، ص35.

[2]-تواتي بومهلة: **محطات في تاريخ الجزائر**، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص54.

[3]-**قوادس**: أو القادوس: جمع قواديس وهو وعاء كبير قمعي الشكل يلقي فيه الحبّ فينزل منه حبات إلى الطاحون. أنظر **قاموس المعاني**. **قاموس عربي- عربي**.

بسفينة مشحونة ببضائع ثمينة، لكن رغم انعدام الوثائق الّتي تؤكد هذا النوع من الهجوم ولكن سرعان ما لبثت أن أبرمت معاهدة مع بني حماد.[1]

وكان قبل هذا قام أسطول لبيزا وجنوة بالاستيلاء على بونة في سنة 528هـ/1134م، كما قام رعايا بيزا بالاستيلاء على طبرقة سنة 534- 535هـ/ 1140م، واستغلالهم على أرصفة المرجان لمدينة بونة.[2]

ونستطيع أن نؤكد هذا بالقول الّذي جاء به بورويبة، بأنّ العلاقات التجارية بين المملكة الحمادية والجمهوريات الإيطالية كانت تبدو ضعيفة بسبب الهجومات المتبادلة بين قراصنة الدولتين في حوض البحر الأبيض المتوسط.[3]

وأجد في ذلك القول إنّ: إعدادات النورمان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط من حين لآخر، وكان سببها المنافسة القائمة بين الحماديون والنورمان على أملاك الدولة الزيرية في السنوات الأخيرة هو الّذي جعل التجارة بين البلدين تتدهور وتتراجع.

أما فيما بعد فقد تواصلت التجارة مع بيزا وجنوة بصورة مزدهرة ومثمرة، وكانت الحركة التجارية مع هاتين المدينتين أشد كثافة من الحركة في الجمهوريات الإيطالية التجارية، وقد استفادت بجاية من المعارك الّتي نشبت بين بيزا وجنوة.[4]

---

[1]-برشفيك، **المرجع السابق**، ص137.

[2]-الهادي، **المرجع السابق**، ص296.

[3]-رشيد بورويبة: **الجزائر فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998، ص45.

[4]-برشفيك، **المرجع السابق**، ص64.

وكان لقيام علاقات تجارية واسعة بين جنوة وبيزا من جهة وموانئ الشمال إفريقيا في عهد الدولة الحمادية من جهة أخرى، والّذي ساعد على ازدياد النشاط التجاري للمدن الإيطالية، عدة عوامل وهو انتقال السيادة البحرية الإسلامية للبحر الأبيض المتوسط إلى المدن الإيطالية.[1]

وكان ما نتج عن انتعاش التجارة في المدن الإيطالية بصفة خاصة، من بقية دول الغرب الأوروبي، هو وجود مراكز صناعية في بعض المدن وازدياد ثرواتها،كما انتعشت حركة البيع والشراء فيها وقيام مراكز تجارية كبيرة في مناطق الإنتاج، وتكوينها لأسواق تهتم بعمليات الإستيراد والتصدير، وفي هذه الظروف قامت المدينتين الإيطاليتين باحتكار تجارة الشرق الأدنى والبحر المتوسط، وترتب عن ذلك ازدهار هاتين الجمهوريتين وارتفاع شأنهما ومساهمتهما الفعالة في القضاء على آخر بقايا العصور الوسطى الّتي عاشت من خلالهما القارة الأوروبية ككلّ في ظلام وجهل فادحين، وقد ساهمت في بزوغ عصر النهضة الأوروبية في المجال التجاري،[2] وهذا بعد مرورها بعدة مراحل قبل أن تصبح مركزا تجاريا وصناعيا، واستمدت المدن البحرية الإيطالية، مثل: بيزا وجنوة أهميتهما بالنسبة لموقعهما المتميز في حوض الأبيض المتوسط، والّتي كانت حلقة اتصال بين الشرق والغرب، كما كانت تتحكم بعض مدنها ومن بينهما المدينتين المذكورتين في ممرات وطرق فيرونا وبولونيا، وكذا وقوع البعض الآخر من مدنها عند ملتقى نهر أو طرف جسر أكسفورد وكامبردج وإلى موقع مينائها في قلب أوروبا وفي أقصى الطرف الشمالي[3]، ويرجع التعامل المشترك للمغرب الأوسط مع بيزا وجنوة بديلا لتردي الأوضاع الّتي نتجت عن استقلال الدولة الحمادية على التبعية للسلطة الفاطمية،[4] ويفضل تجار بيزا وجنوة التعامل مع المدن الساحلية على عكس

[1]-جوزيف نسيم يوسف: **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2002، ص266.

[2]-**نفسه**، ص266.

[3]-جوزيف نسيم يوسف: **تاريخ العصر الوسطى الأوروبية وحضارتها**، دار النهضة العربية، ط2، 1987، ص254.

[4]-طويل، **المرجع السابق**، ص300.

المدن الداخلية، فإن طبيعة هذه المدن لا تسمح بإقامة هذه العناصر فيها إذ كانوا وافدين عليها بغرض التجارة.

أدى هذا التعامل إلى نمو المدن، مثل: وهران الّتي نمت نموا كبيرا بفضل العلاقات الّتي أقامتها مع النصارى في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى نمو مدينة تلمسان والّتي كانت تعتبر وهران ميناءها، كما سمح لتجار بيزا وجنوة بنصب فندق وقنصلية بمدينة وهران وسمحت لهم ببناء كنيسة يؤدون فيها طقوسهم ومعتقداتهم وكان ذلك سنة 533هـ/ 1138م.[1]

وقد كتب البكري والإدريسي ملاحظات عن تيارات التبادل التجاري بين بجاية والمدن الإيطالية، وقد بينت آثار هذا التبادل بعض الوثائق الغربية الّتي تم العثور عليها، وكلها توضح أنّه وبالرغم من الحروب الداخلية والخارجية سواء في المغرب الأوسط أو في أوروبا، كما جمعت كثيرا من الأموال مما نسميه اليوم بالاحتياطي ويظهر ذلك جليا في حياة البذخ الّتي عرفتها بجاية وبعض المدن الساحلية الأخرى في المغرب الأوسط،[2] وعرفت كلّ هذه المدن مراكز وفنادق للتجار النصارى الخاصة به وبسلعهم وبضائعهم.[3]

[1]-رشيد بورويبة: **وهران فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998، ص28.

[2]-البكري، **المصدر السابق**، ص50. أنظر كذلك الإدريسي، **المصدر السابق**، ص54. أنظر كذلك العربي، **المرجع السابق**، ص244- 245.

[3]-الجيلالي، **المرجع السابق**، ص385.

المطلب الثاني: التجارة مع جزر البليار وجنوب فرنسا.

ازدهرت التجارة البجائية خاصة في التجارة البحرية بين جزر البليار وجنوب فرنسا والّتي أصبحت بديلا لتردي الأوضاع،[1] وكان حضورهما في ميناء بجاية قويا وكثيفا وتمثل ذلك الحضور خاصة في مدن مرسيليا وبروفانس وكاتلونيا والّذين كانوا يستفدون من منتجات الدولة الحمادية كغيرهم من بقية المدن الأوروبية، وكان يمثلهم قنصل معتمد في بجاية وكانت تحتوي على مستودعات لحفظ بضائعهم أمنهم على سلامتهم وفي هذا الوقت، قال روفي: كان تجار مرسيليا في مدينة بجاية يأتون إليها بغرض التجارة وكانوا يقيمون في من أحيائها، وقامت هذه المدن بإيداع بضائعها في ميناء بجاية وأصبح هؤلاء التجار يفعلون ما بوسعهم من أجل البقاء والحفاظ على التعامل مع هذا البلد الغني والخصيب بالثورات الطبيعية بمنتجات تفتقر إليها مرسيليا وبروفانس وكاتلونيا،[2] كانت هذه المدن تقوم باسترداد الحديد والزئبق الّذي كان يستخرج من جبل أرزيو، بالإضافة إلى النحاس الذي يجلب من جبال كتامة كما قاموا بالاستحواذ على المرجان من مرسى الخرز في القالة والّذي بقي استرادهم لهذه المعادن إلى غاية القرن 10هـ/16م، وكانت هي الّتي تقوم باستخراج المرجان من سواحل مرسى الخرز وبونة،[3] كما كانت تخصص لهم الخانات والفنادق للإقامة فيها طيلة الفترة الّتي يرغبون بها، ويقول نفس الكاتب: أنّ التجار الفرنسيين والبلياريين كانوا يجلبون معهم العبيد إلى بجاية، وكان هؤلاء التجار يتفاوضون مع ملوك الدولة الحمادية في العاصمة بجاية وهذا بعقد اتفاقيات ومعاهدات التجارية وقنصلية،[4] وقد كانت ناحيتي بلنسية وكاتلونيا[5] تبعثان الخمور إلى منطقة وهران بجانب حركتها التجارية الهامة، أدت هذه التجارة

---

[1]-طويل، **المرجع السابق**، ص300.

[2]-Elie De La Primaudaie : **L'Algerie Avant l'occupation franaide** ; Edition Lumiere Libres ; p43.

[3]-بونار، **المرجع السابق**، ص217، أنظر كذلك، السيدة عالمة، **مجلة الأصالة**، ص87.

[4]-ELIE, OP , P47.

[5]-**كاتلونيا**: منطقة شرقية من اسبانيا، عاصمتها برشلونة.

والمبادلات القائمة بين هذه المدن بالدولة الحمادية دورا هاما في تطوير الملاحة وتنظيمها من جهة وفي ازدهار النشاط التجاري المتبادل لهذه المدن.[1]

ويعتبر ابن حوقل إنّ الواجهة البحرية لبلاد المغرب الأوسط والّذي يعتبر شاهد عيان في هذه الحقبة على واقع هذه المراسي، وكان كلّ مرسى حمادي يقابله مرسى من مراسي جزر البليار وجنوب فرنسا.[2]

ويقول الإدريسي: عن جزائر بني مزغنة أنّها كانت ذات أسواق قائمة وتجارة مربحة كانوا يستوردون منها السمن والعسل والغنم وإلى كلّ الدول أوروبية كثيرة، ويضيف بأنّها كانت ترسو بها المراكب الكبار والسفن السفرية وكانت تفد إليه فرنسا وجزر البليار لجلب كلّ المواد الّتي كانت أوروبا بحاجتها.[3]

وبالمقابل كانت البواخر القادمة إلى ميناء تفرغ النسيج الأوروبي القادم من كاتلونيا ومرسيليا وإضافة للمنتوجات الشرقية كالتوابل والبخور والعطور، والّتي تعتبر موانئ بروفانس[4]وكتلونيا بتوزيعه على مدن المغرب الأوسط.[5]

كما كانوا يقدمون فوائد كبيرة لمدينة بجاية في ذلك الوقت، من خلال ما يستوردونه من منتجات الدولة الحمادية بكميات جدا ومنها، الشمع والجلود المدبوغة والتين والفستق وغيرها من المواد .

وكانت العلاقة بين النصارى المرسليون والكاتلنيون وبروفانسيون مع المسلمين في الدولة الحمادية مستمرة وكانت علاقات ودية إلى غاية غزو الأتراك للمغرب الأوسط.

---

[1]-بورويبة، **وهران**، ص28.

[2]-ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص83.

[3]-الإدريسي، **المصدر السابق**، ص89. أنظر كذلك العربي، ص356.

[4]-**بروفانس**: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، بالقرب من مدينة مرسيليا.

[5]-Elie ; p53.

ويرجع توطيد هذه العلاقات بين الدولة الحمادية والمدن الأوروبية المذكورة إلى الربح وثروة فقد عمل الحماديون بالسهر على راحة هؤلاء التجار النفسية والجسدية، وتسهيل الخدمات لهم بتوفير الفنادق وأماكن إقامتهم.[1]

وكانت مدن جزر البليار وجنوب فرنسا رحلات تجارية هامة تنطلق من مرسيليا للذهاب والعمل في تجارة المغرب (الجزائر وبجاية وبونة) واستطاعوا التوغل وصولا إلى قسنطينة وبهذا تكون تجارة المرسليون

وكاتلنيون وبروفانس قد تخطت الإطار الساحلي الضيق، بعد نفاده من السلع، عكس ما كان يفعل التجار الإيطاليون والصقليون والبندقيون الذين كانت تجارتهم مرتكزة على المدن الساحلية، كما كانت هناك رحلات تجارية يقومون بها في كلّ مرة بحثا عن الشمع والصوف في بجاية وبونة،[2] كانت أسواق الشامبانيا في فرنسا ملتقا دوليا للتجارة الأوروبية الكبرى.[3]

وهناك وثائق يرجع عهدها إلى القرن 12م، تؤكد هذه العلاقات التجارية، ففي الخرائط المستعملة في تلك الفترة من طرف البحارة الكاتلنيون كانت بها كلمة الجير ويقصد بها الجزائر، وهذا ما نجده في" أطلس ثمار لوكسورو" المحفوظ في جنوة.[4]

---

[1]-بومهلة، **المرجع السابق**، ص54.

[2]-فاليريان، **المرجع السابق**، ص867.

[3]-نور الدين جاطوم: **تاريخ العصر الوسيط في أوروبة من القرن 12 إلى القرن 15م**، ج2، دار الفكر، سوريا، ط1، 1993، ص11.

[4]-سعيد دحماني: **عنابة فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1983، ص50.

المبحث الثاني: التجارة مع صقلية والبندقية.

المطلب الأول: التجارة مع صقلية.

يقول المقدسي: تعتبر صقلية من بين أهم المراكز التجارية، كما كانت زراعتها مزدهرة، فقد نشطت الحركة التجارية في المغرب الأوسط وكثرت رحلات التجار الصقليون إلى المدن الساحلية الحمادية، لاستيراد الجلود والمواد الخام.[1]

كان النصارى الأوروبيون الفاعلين الأكثر عددا في التجارة وخاصة صقلية بكونها المدينة الأقرب إلى مدينة بجاية،[2] يقول صاحب الاستبصار: ليس بين بجاية وصقلية غير ثلاث بحار، وكانت سفنها تحط على سواحل بجاية،[3] استفادت الأعمال التجارية لهذه المدينة من التطور السريع للتقنيات التجارية والإنشاءات البحرية.[4]

وقد ساعد الصقليين في النجاح في تجارتهم والظفر بها وتطورها استعانتهم باليهود الّذين كانوا يجيدون التحدث بالعربية، فقد كانوا يسافرون معهم في سفنهم بانتظار من شمال إفريقيا إلى صقلية أو على طول الشريط الساحلي الصقلي، وهذا يدل على الحركة النشيطة الّتي كانت عليها منطقة البحر المتوسط، هذا حسب ما جاء في وثائق الجنيزة حول الانتشار الكبير لحركة التبادل التجاري بين سواحل البحر المتوسط من الجنوب إلى الشمال.[5]

شهد النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، كثرة الوثائق الّتي تشير إلى شحن التجار لبضائعهم بحرا خوفا من اعتراض الوجود العربي لسفنهم وقرصنتها، وهو السبب نفسه الّذي جعل

---

[1]-شمس الدين المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح: م ج دي جورج، ط2، 1904، ص170.

[2]-فالريان، **المرجع السابق**، ص732.

[3]-مجهول، **المصدر السابق**، ص130- 131.

[4]-فالريان، **المرجع السابق**، ص732.

[5]-الطويل، **المرجع السابق**، ص346.

الحماديين يولون وجوههم شطر البحر خوفا من اجتياح القبائل العربية لقوافلهم، فقد أضحت الطرق البرية غير آمنة في تنقلات التجار،[1] وهذا بتغيير عاصمتهم القلعة وانتقالهم إلى بجاية كما ركزوا على تنمية التجارة البحرية هذا تجنبا للاختناق الاقتصادي، وهكذا أصبحت الطرق البرية مهجورة تماما.[2]

عقد حكام صقلية مع حكام بجاية الحمادية معاهدات تجارية وقنصلية دقيقة، تهدف إلى التعاون فيما بينهما وتطوير اقتصادهما من خلال حركة التبادل التجاري، وكانت صقلية من أبرز الدول الأوروبية البحرية الّتي أقام معها الحماديون علاقات تجارية واسعة النطاق، كما عقدت في عهد المنصور بن النّاصر معاهدات تجارية حتّى صارت من أكبر مدن إفريقيا الشمالية.[3]

كانت صقلية تستورد من دولة بني حماد منتجات عديدة ومتنوعة من مختلف مدنها وما تحتويه: الخيول البربرية والعربية، والسمك المقدد، وخاصة مادة الشمع والصوف وزيت الزيتون والحبوب، كذلك كان الصقليون يجلبون العبيد الخصيان لخدمة القصور المغربية الّذين كانوا في الأسر، وكذا العبيد السود الّذين كانوا يهاجرون بحثا عن حياة أفضل فيقعون في الأسر، وكانت الدولة الحمادية تستورد من صقلية المواد المصنعة وكانت التوابل والعطور الّتي كانت أوروبا تستوردها من الشرق الأدنى.[4]

---

[1]-**نفسه**، ص 346.

[2]-العربي، **المرجع السابق**، ص244.

3-يوسف صالح بن قربة: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة وبني حماد دراسة تاريخية وأثرية**، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009، ص254. أنظر كذلك، إسماعيل العربي، مجلة الأصالة، **العدد الخاص ببجاية**، ص346.

[4]-العربي، **المرجع السابق**، ص244.

وقد نفقت الأسواق في البلاد الحمادية، فكانت بحارها وأوديتها الكبيرة تشق أسراب السفن التجارية من صقلية وكانت غادية رائحة، ولقد تأثر الإدريسي والجغرافيون والرحالة الآخرون بالنشاط التجاري لبجاية الّذي يجلب لها وسائل الراحة حيث تروج السلع.

كما كان المرجان أهم منتج يستورده الصقليون من السواحل الحمادية وخاصة من ساحل وهران وتنس، وصارت المنستير سوقا سنوية كبيرة، يتوافد عليها الكثير من التجار الأجانب، وقامت باستراد الجلود، فقد خصص حي بأكمله في العاصمة بلرم للتجار فازدحم السوق بالصيارف وحائكي الملابس وصانعي الأسلحة والجلود.[1]

كما كانت صقلية تعتمد على المرجان في مرسى الخرز، والّذي كانت تقوم باصطياده من ميناءه وخاصة المرجان الأبيض، والّذين يقومون بصناعته وإعادة بيعه.[2]

1-أرشابيلد لويس: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط 500-1100م**، تر: أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، مصر، دت، ص330.

[2]-ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص90.

المطلب الثاني: التجارة مع البندقية.

لم تعرف العلاقات التجارية مع الدول النصرانية أيّ توقف، بل بالعكس من ذلك فقد سارعت جمهورية البندقية بتوطيد علاقاتها بدول شمال إفريقيا وخاصة مع المغرب الأوسط، وقد كان للبندقية الدور الحيوي والنشاط في التجارة البحرية، كما كانت لها السابقية في هذا الميدان وكان لميناء البندقية شهرة واسعة في القديم، فقد احتل ميناءها الذروة، لأنّه لم يكن لها ماضي روماني وهذا الّذي جعلها تتفوق على باقي الدول الأوروبية،[1] فقد كانت تابعة اسميا لسلطان بيزنطة فهذا لم يمنعها من إقامة علاقات تجارية مع كلّ الدول الإسلامية في المغرب في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر.[2]

ويعتبر تجار جمهورية البندقية من أوائل التجار الأوروبيين الّذين استخدموا الشركات التجارية، ويعود إلى ازدهار نشاطها التجاري وكانت البدايات الأولى لمثل هذه الشركات التجارية في البندقية منذ القرن التاسع الميلادي.

واجتاز تجار جمهورية البندقية[3] الممرات الألبية وخاصة ممر القديس برنارد للوصول إلى أسواق شامبانيا،[4] وأصبحت تتحكم في معظم متاجر بلدان البحر المتوسط وسلعها وبضائعها، فقد كانوا يحملون الذهب والفضة من شمال إفريقيا،[5] وقامت البندقية بالاحتياط بالعلاقات الطيبة

1-روبرت لوبيز: **ثورة العصور الوسطى التجارية 950– 1350م**، تر: محمود أحمد أبو صوة وصلاح الدين السوري، منشورات إلقا، دب، دت، ص85.

[2]-مجلة الأصالة، **المرجع السابق**، ص343.

- **البندقية:** تقع مدينة البندقية في إيطاليا وبالتحديد في شمال البلاد، تطل على البحر الأدرياتيكي، وهي في الأصل عبارة عن مجموعة من الجزر المتصلة ببعضها البعض بواسطة الجسور، ويبلغ عدد هذه الجزر 118 جزيرة، وتعتبر مدينة البندقية من أهم [3]مرافئ أوروبا.

3-**الشامبانيا:** نبيذ أبيض، يصنع بمنطقة شمبانيا بفرنسا، له شهرة عالمية، وهو من أجود الخمور الفرنسية، أنظر **قاموس المعاني، قاموس عربي – عربي**.

[5]-عادل زيتون: **العلاقات الاقتصادية بين والشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص35- 42.

مع شمال إفريقيا بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، الّذي سمحت به التنقلات من الحرب الباردة إلى الحرب الساخنة وهكذا تمكنت من بناء مثلث تجاري مزدهر باعتمادها على الأساس في مبادلات بضائع الشرق الكمالية (التوابل والحرائر، والعاج)، وكذا سلع أوروبا الغربية الثقيلة (كالحديد، والخشب، والعنابر[1] البحرية والعبيد)، وإلى جانب هذه المواد فقد كانت تقوم بجلب عقاقير الهند، مثل: جوز الطيب والقرنفل والرواند والزنجبيل والقرفة وغيرها، وكانت تصل إلى المغرب بثلاث طرق مختلفة:[2]

أولا: عن طريق موانئ أوروبا، بحيث توجد مستودعات العقاقير الهندية فقد كانت السفن الأوروبية تحملها إلى موانئ المغرب.

ثانيا: عن طريق الإسكندرية وغيرها من موانئ الشرق، وبهذا تحملها السفن العربية والأوروبية.

ثالثا: من القيروان إلى القلعة وتلمسان وغيرهما من المدن الداخلية، وهذا فيما يتعلق بالعطور والبخور، مثل: اللبان والعود الجاوي والمسك والعنبر وغيرها.[3]

بالإضافة فقد كانت الدولة الحمادية تقوم باستيراد الخشب الّذي كانت بأمس الحاجة إليه وبمختلف أنواعه والّذي استعمله الحماديون لأغراض مختلفة كالطبخ والنسيج والبنايات وتأثيث المنازل وصناعة السفن، لأنّ غابات البلد كان خشب المتوفر في الدولة سوى ذلك الموجود في جنوب وهران وغابة الزان الّتي تقع بالقرب من مدينة بونة، بالإضافة إلى غابات القبائل الصغرى،[4] فلم تكن هذه الأخشاب تفي بمختلف أغراض الدولة في كلّ نواحيها، لأنّ الدولة الحمادية كانت

---

[1]-العربي، المرجع السابق، ص246، أنظر كذلك **مجلة الأصالة**، ص346.

[2]-العربي، **المرجع السابق**، ص246، أنظر كذلك **مجلة الأصالة**، ص346.

[3]-اليعقوبي، **المصدر السابق**، ص16- 17، أنظر كذلك لويس، **القوى**، ص150.

4-**القبائل الصغرى**: مدينة بجاية حاليا، وهناك القبائل الكبرى والّتي يقصد بها حاليا مدينة تيزي وزو حاليا، والقبائل يقصد بهم الصنهاجيون في الشمال (وهم الّذين أسسوا الدولة الحمادية).

تمتد على نطاق واسع،[1] وبالرغم من اهتمامها بغرس الأشجار إلا أنّ هذا لم يكن يكف، ولذلك كانت البندقية تمد المغرب الإسلامي بالخشب الخام والألواح وحتّى الخشب المصنع.

وقد منعت الإمبراطورية البيزنطية التعامل مع المسلمين بأيّ شكل من الأشكال وخاصة في مجال المبادلات التجارية وتمثل ذلك في تصدير بعض المواد الّتي كانت بالنسبة للإمبراطور تساعد المسلمين في محاربة النصارى والاستحواذ على البحر الأبيض المتوسط، وقد استمر إشراف الحكومة القديم على[2]التجارة الخارجية كان قويا في القرن العاشر الهجري، كما حاول حكام بيزنطة منع التجار البنادقة تصديرهم للسفن المحملة بالخشب والحديد والسلاح إلى أعدائهم المسلمين، وكان ذلك سنة 360هـ/971م.[3]

كما عاد تجار البندقية إلى تصدير كلّ ما هو في صالح نمو اقتصادهم وتطويره، فكانت تتواطئ مع موظفي الجمارك في تصدير الحرير إلى دول شمال إفريقيا، ونجد المعاملات التجارية مع شمال إفريقيا في القرن الحادي عشر الهجري ممنوع بسبب الفروض الّتي قام بفرضها الحكام البيزنطيين من احتكار التجارة مع كلّ المسلمين، ولعل السيطرة الّتي اكتسبتها البندقية شيئا فشيئا على تجارة بيزنطة في البحر المتوسط، قد غيرت طبيعة العلاقات البيزنطية مع دول أوروبا، فقد كانت للبندقية مقامها الخاص بين مراكز التجارة الغربية.

ويمكن القول بأنّ ضعف السيطرة البحرية الإسلامية على البحر المتوسط حوالي عام 435هـ/1043م، وانتعاش البحرية البيزنطية وتحول كثير من بلاد أوروبا كالبندقية وغيرها إلى النشاط البحري، بل إنّ تلك الأقاليم زادت ثروة في التجارة وقد ساهم المسلمون في شمال إفريقيا

[1]-العربي، **المرجع السابق**، ص246.

[2]-**نفسه**، ص337.

[3]-مجلة، **الأصالة**، ص351.

في عهد الدولة الحمادية بصفة خاصة مع البنادقة في ذلك الرخاء، وكانت الحروب الصليبية الّتي قام بها الغرب الأوروبي بهدف سيطرته على البحر المتوسط وإسقاط العالم الإسلامي وإبادته.[1]

كانت الدولة الحمادية غنية بالثروات الطبيعية وذلك في مختلف مدنها، ولم تكن تلك الثروات تقتصر على بجاية والقلعة، وإنما شملت كلا من مدن بسكرة بإنتاجها للتمور ذات الجودة العالية، ومدينة الحضنة الّتي كانت غنية بمادة القطن،[2] وكذا وفرته في مدينة وهران وقد ظل القطن من أهم المحاصيل الرئيسية في المغرب الأوسط إلى غاية القرن العاشر الهجري، السابع عشر ميلادي، وقد كان أهل البندقية يستوردونه من بلاد المغرب الأوسط ولا سيما من وهران بكميات كبيرة منه،[3] وقد كانت كلّ المدينة تتميز بمنتوجاتها، وقد كانت مثل: مدينة سطيف، وقسنطينة وجزائر بني مزغنة كلّها مراكز تجارية وصناعية.[4]

وبهذا فإنّ الاتفاقيات الّتي عقدت بين حكام المغرب الأوسط والبندقية، لا تدع مجالا للشك والريبة في أهمية التجارة في هذه المواد بين البلدين، وبالتالي فهي تمثل بدون شك استمرارا لتيار التواصل فيما بينهما.[5]

وبموجب هذه الاتفاقيات كانت جمهورية البندقية من جهتها تمثل سفرا ينطلق من ليدوفي في النصف الثاني من شهر يوليو من كلّ سنة، فكانت مراكب البندقية عند انطلاقها تمر بطرابلس وبجاية والجزائر ووهران، بحيث كانت ترسو بمدينة وهران مدة أطول من غيرها من المدن حيث أنّها كانت تقيم بها عشرة أيام.

---

[1]-لويس، **المرجع السابق**، ص337.

[2]-**نفسه**، ص389- 390.

[3]-أندري باريال: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: رابح استنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص104- 105.

[4]-حاجيات وآخرون، **المرجع السابق**، ص151.

[5]-العربي، **المرجع السابق**، ص248، أنظر كذلك كلود دلماس، **تاريخ الحضارة الأوروبية**، ص19- 24.

وعلى قول كازناف:" كان تجار جميع النواحي تقصد وهران بهذه المناسبة، وكان معدل ما يباع بها عشرون أو ثلاثون ألف هكتو ليتر من القمح وعشرة آلاف هكتو ليتر[1] من الشعير، والتمور والقطن والشمع والزيت ونبات عطري يشبه البساسة والكمون وجوز الطيب، وكانوا يشترون بالأخص الذهب والنحاس غير المعالجين بالصناعة والمصنوعين على شكل سبائك وقضبان وقطع وخيوط، ولصناعة[2]

الحلي أو النقود، كما كانوا يشترون نسجا من الحرير والصوف والقطن والعظلم الّذي يستعمل لتلوين النسيج باللون الأزرق، وكانت البضائع المبتاعة تباع مرة ثانية في كلّ ناحية، أو تبعث نحو جنوب المغرب الأقصى والسودان قوافل قوافل".[3]

-هكذا وجدته في كتاب بورويبة الّذي قام بالاقتباس من كتاب كازناف، ولعله يقصد ألف قنطار وليس هكتو ليتر، فهذا [1]للسوائل وليس للحبوب.

[2]-بورويبة، **وهران**، ص28. نقلا عن كازناف.

[3]-**نفسه**، ص28.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: العلاقات الاجتماعية والثقافية.

تمهيد الفصل الأول:

كانت توجد بالمغرب الأوسط طائفة نصرانية تتكون من الجالية المقيمة في بجاية ومختلف المدن الحمادية، والجالية الّتي تفد إلى بجاية وغيرها من أجل أغراض مختلفة، وتتمثل في التجار الّذين يتوافدون على إقليم المغرب الأوسط بغرض التجارة أو الدراسة في مختلف المراكز العلمية الحمادية، كما كانت هناك فئة من العبيد الأسرى الّذين تم أسرهم في الحروب الّتي تقوم من حين لآخر بين الحماديين والأوروبيين في القرنين 4- 5هـ/10- 11م.

كانت مساهمة المسلمين في أوروبا العصور الوسطى متعددة، فقد ساهمت النهضة الفكرية والثقافية الّتي شهدتها مدينة بجاية في العهد الحمادي وخاصة من بداية عهد النّاصر بن علناس وابنه المنصور اللّذين اهتما بإحياء العلوم، وكان لهذا الاهتمام تأثيره الخاص على دول أوروبا الغربية الّتي كانت تعيش[1] في ظلام حالك خلال طول فترة العصور الوسطى، بينما يعيش العالم الإسلامي في نور وهاج بفضل ما توصلوا إليه من نبوغ في العلوم ولاعتماد على ترجمة الكتب اليونانية والإغريقية، ويرجع هذا التطور إلى بنائه للمدارس وتلقينهم الصبيان مختلف العلوم والإحاطة بمبادئه وقواعده، ولم يكن التعليم يقتصر على فئة معينة من الشعب أو الأولاد دون البنات، بل كانوا كلّ سواسية، عكس ما كان يحدث في أوروبا العصر الوسيط، فقد كان التعليم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتعليم الديني والكنسي، الّذي كان طاغيا في تلك الفترة، ولم يكن تعليم الصبيان يخرج عن بعض جوانب القراءة والكتابة وبعض الحساب، فلم تعرف أوروبا فيما سميّ بالتعليم العالي، فقد شملت العلوم الّتي أثرت في الحضارة الأوروبية العلوم الطبيعية، مثل: الرياضيات

1-سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص79، أنظر كذلك أحمد أبو زيد: **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الإسكندرية، 1970، ص207، أنظر كذلك سعيد عبد الفتاح عاشور: **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**، ص101- 106.

والطب والفلك والصيدلة، وكذلك الفنون والعمارة والزراعة والموسيقى في الفترة الممتدة من القرن 5- 7هـ/11- 13م، ويرجع هذا كلّه إلى وفود نصارى أوروبا على بجاية للإصغاء والفهم، وقد اقتصرت على دراسة بعض هذه العلوم وكيف ساهمت في تحضر ورقي القارة الأوروبية بدءا من جنوبها إلى غاية انتشارها في كلّ البلاد الأوروبية.[1]

بالإضافة إلى هذا كلّه فقد كان النورمان مغرمين بالحضارة الّتي وصلت إليه الدولة الحمادية فقاموا بوضع قصور بلرم[2] على شكل قصور بجاية، كما كان قصري زيزة وكوبة ببلرم شديدي الشبه بقصور اللؤلؤة والكوكب وأميمون، ووضعوا فيه كلّ أنواع الزخارف الهندسية والنقش والتصوير الّتي كانت تحتوي عليها قصور الدولة الحمادية.[3]

[1]-سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص79، أبو زيد، **المرجع السابق**، ص207.

[2]-**بلرم**: أو باليرمو وهي عاصمة إقليم صقلية الذاتي الحكم، وهي أكبر المدن الإيطالية، وقد سماها العرب بلرم.

[3]-بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص217- 218.

المبحث الأول: دور المغرب الأوسط الحمادي في النهضة العلمية الأوروبية.

عرفت مدينة بجاية نهضة علمية وفكرية واسعة خلال عصر الدولة الحمادية، إلى غاية مطلع القرن 10هـ/16م، وقد قامت بها مدارس ومعاهد علمية،[1] مثل: معهد سيدي تواتي الّذي أنشأه النّاصر بن علناس الحمادي في عاصمته بجاية، وكان هذا المعهد يضم حوالي ثلاثة آلاف طالب قدموا من مختلف أصقاع العالم وكان من الطلبة الوافدين إلى بجاية الطلبة الأوروبيون للإستفادة من شيوخها وعلمائها،[2] وبالأخص الطلبة الأوروبيون الّذين قدموا من دول أجنبية مختلفة، مثل: إيطاليا وجنوب فرنسا، واليونان،[3] ويرجع هذا التوافد للمجتمع الأوروبي إلى مدينة بجاية طلبا للعلم إلى سياسة التسامح الّتي اتّسم بها ملوك الدولة الحمادية.[4]

ويعود الدور الّذي قدمته بجاية لدول أوروبا، وهو خروجها من غفوتها وسباتها العميقين والّذي دبّ في أوساط مجتمعاتها، وظلت في تلك الغفوة والجهل يخيم على مختلف أرجائها،[5] ويعود السبب في خروج أوروبا من غفوتها وجهلها وتأخرها إلى الأوروبيين من أهمها مايلي:

- فتح أوروبا المتهجمة لعيونها على الحضارة الإسلامية خلال الحملات الصليبية فيما بين سنتي 489 - 690هـ/1069- 1291م، فتسربت من خلالها إلى الغرب الكثير من المعارف والعلوم الإسلامية.

1-يحي بوعزيز: **موجز تاريخ الجزائر الجزائر الوسيطة**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2007، ص160، أنظر كذلك يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،ص25.

2-بن ذيب وآخرون، **المرجع السابق**، ص125، أنظر كذلك بوعزيز، **موجز**، ص160.

3-بوعزيز، **موجز**، ص160.

4-بن ذيب وآخرون، **المرجع السابق**، ص125.

5-عبد الله ناصح علوان: **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، دار السلام، القاهرة، ط1، دت، ص24.

- حركة الترجمة الّتي عرفها علماء أوروبا، فقاموا بنقل المؤلفات من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، ومن هؤلاء الأوروبيين الّذين قاموا بهذه الحركة أمثال: أفلاطون تيفولي، وغيرردو، أديلارد، وليوناردو فيبوناتشي، كما يرجع أيضا إلى تفتح وتقبل حقائق العلم والفلك، أصبح يتناقض

مع تعاليم الكنيسة الكاثوليكية الّتي كانت تجنح إلى الجمود واللاعقلانية والسيطرة الّتي

كانت تسيطر بها على عقول بعض العلماء، مثل: إثبات كروية الأرض الّتي قام بها غاليلو[1] فقاموا بسجنه بعدما أخضعوه لشتى أنواع التعذيب لكي لا يفكر أيّ شخص آخر في تحدي سلطة الكنيسة.[2]

ومن بين المساهمات الّتي ساهم بها علماء بجاية في النهضة العلمية لأوروبا، ومنهم: القابسي،[3] وهو إمام مصلح الّذي ألّف كتابا أسماه" الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"، والّذي تحدث فيه عن تعليم المسلم للنصراني، والنصراني للمسلم.[4]

ومن هنا يمكن القول بأنّ: النهضة الحضارية الّتي اشتهرت بها أوروبا تدين بجانب كبير إلى العلماء والمعارف العربية وأنّ ما قام به العرب من حفظ للأصول اليونانية في مجال الفلسفة وغيره من العلوم، يعد أثرا بارزا للحياة الفكرية والعلمية في أوروبا، وتعود أفضال هذه النهضة إلى العمل الجليل الّذي قام به العرب اتجاه هذه القارة وشعبها، وهو حفظهم للتراث ولولاهم لظلت أوروبا

-**غاليليو غاليلي**: فزيائي وفلكي من أصول إيطالية، ولد في بيزا عام 1564، علمه والده منذ صغره أن يكون مستقلا فكريا وأن يقابل الأفكار بالتشكيك السليم والتساؤل المنطقي، درس الرياضيات والفلسفة الطبيعية كما درس نظرية أرسطو عن الكون والّتي كانت تلقى قبولا ودعما من قبل السلطات حينها، اعتمد غاليليو على المنطق الاستدلالي والاحتكام للتجربة وحدها.[1]

[2]-بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، ص25، أنظر كذلك بن ذيب، **المرجع السابق**، ص125، أنظر بوعزيز، **موجز**، ص160.

[3]-**القابسي**: هو أبو الحسن بن خلف القابسي الفقيه المؤرخ والمصلح.

[4]-فركوس، **المرجع السابق**، ص85.

تجهل الكثير من أسس تلك العلوم ومناهجها، وبهذا يمكن القول بأنّ لها الدور الأساسي والفعال في تطور الفكر الأوروبي والّتي تنعم بفضائلكم إلى حد الساعة.[1]

إنّ المعرفة الّتي اكتسبها العرب في فهمهم واستفادتهم من بقايا المؤثرات اليونانية والسريانية والرومانية، فقد كانوا أكثر حرصا على تطوير ما لديهم من حضارة وهذا ما أثّر في الجرمان وكذا وقوفهم حجر عثرة في وجه الكنيسة والّذي كان دافعا قويا للنهضة، فلولا هذه الدفعة لما كانت اسهامات العرب كافية، فقد اهتم ملوك أوروبا بالتراث الإسلامي على عكس الإسبان في الأندلس، فقد النورمان بالظفر والفوز بتراث ومخلفات المسلمين العلمية، وبهذا قام بتشجيع مظاهر الحركة الإسلامية وهذا برعايته للجالية الإسلامية الإفريقية، وقد قام بالكتابة على مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللغة اللاتينية، واليونانية، كما قام بالكتابة على نقوده وسار روجار الثاني على نهجه وفعل مثله، فكلف هذا الأخير الشريف الإدريسي بتأليف كتاب له في الجغرافية الأرض، ولايزال المخطوط محفوظا في متحف نورمبورج، كما كان الرداء الّذي اعتاد ملوك النورمان لباسه، والّذي كان مطرزا بكتابات عربية وبالخط الكوفي يرجع إلى سنة 1133م، كما قام فريدريك الثاني في القرن 7هـ/13م، بإحاطة نفسه بالمظاهر العربية الإسلامية، وبحاشية إسلامية إفريقية حتى أنّهم كانوا يدعونه الإمبراطور النصف شرقي، وقام بتشجيع العلماء والجغرافيين والفلكيين، وحتى الأدباء المسلمين كثيرا.[2]

يمكن القول إنّ هذه المعاملة الطيبة من ملوك الفرنج النصارى للمسلمين تدل على امتنانهم لما قدمه هؤلاء المسلمين وأفكارهم للغرب الأوروبي،[3] ولما رأوه في جمالية اللغة العربية وكذا جمالية

---

[1]–عزيز كميل: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2010، ص223.

[2]–**نفسه**، ص223.

3–ومن هنا نتساءل أين نحن مما كان عليه أسلافنا، لقد كان النصارى يقدرونهم ويحترمونهم ويقلدونهم هذا لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا متمسكين بدينهم ولغتهم، ماذا عنّا نحن الّذين أصبحنا نسير وراء النصارى في المنفعة والمضرة، فإذا كنّا نحن لم نقدّر بعضنا بعض فكيف للغرب يقدرنا ويحترمنا وكيف ترقى بلادنا وديننا ولغتنا إلى ما كانت عليه.

الخط العربي الّذي كان ويزال فخرا للعرب والمسلمين، هذا بالنسبة لأسلافنا الّذين اهتموا بالأدب العربي.[1]

وكان لهذا التشجيع من ملوك النورمان على تعلم كلّ شيء يؤدي إلى الرقي والحضارة،[2] فقد كانت حاجة المتعلم الأوروبي تعكف على جوانب ومهارات تقنية وعلمية، وهو ما يدل على قابليته لاستيعاب منهجية يسّرت عليه العبور إلى الثورة العلمية، فقد كان هناك البعثات الأوروبية ومن الجنسين تفد على الحواضر الحمادية بصفة خاصة،[3] وكانت أغلبية هذه الدروس والعلوم تلقن في المدارس، وكانت تدرس في هذه المدارس والمعاهد جميع العلوم، الفلكية والطبية والفلسفية وعلم الصيدلة والأدب والرياضيات بفرعيه الجبر والهندسة، فكان الطلبة الأوروبيون يتزاحمون على أخذ دروسهم العلمية بالقلعة وبجاية والجزائر وقسنطينة وغيرها من المراكز العلمية الّتي لا تعد ولا تحصى.[4]

وقد ساعد الأوروبيون على التحضر مباشرة بعد صحوتهم وتلقينهم للعلوم، توجههم فيما بعد نحو الترجمة، فقد قاموا بترجمة الكتب من العربية إلى اللاتينية، وهذا بواسطة نخبة كبيرة من العلماء والمثقفين الّذين كانوا ينتمون إلى عدة فئات متنوعة، وهي نفس العملية الّتي قام بها المسلمون في بداية نهضتهم العلمية والفكرية في بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، ومن هنا نرى أنّ التاريخ يعيد نفسه ولكن مع طائفة من غير المسلمين، ونذكر بعض الّذين قاموا بحركة الترجمة من غير طائفة النصارى على سبيل المثال منهم: يوسف قمحي اليهودي (498-586هـ/1105- 1190م)، فقد ترجم في ناربونة كتاب" المرشد إلى واجبات القلب" وقد

---

[1]-بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، ص15- 16.

2-كيف وصل النورمان إلى ما هم عليه اليوم من حضارة ومدنية ورقي وازدهار، وتعلم كلّ ما يودي إلى تطورهم وتحضرهم، كيف لا ديننا الّذي يحثنا على تعلم علومنا وعلوم غيرنا وقد قال رسولنا محمد صل الله عليه وسلم:" أطلبوا العلم ولو في الصين"، وكانت أول سورة قرآنية تحث على العلم والقراءة، قال الله تعالى:" إقرأ باسم ربّك الذي خلق" **سورة العلق**، الآية 1.

[3]-عشراتي، **المرجع السابق**، ص127.

[4]- بن قربة، **المرجع السابق**، 167.

صامويل بن طبون اليهودي بترجمة كتاب" دليل الحيران وأنيس السهران" لابن ميمون، وكذلك ترجم موسى بن طبون اليهودي كتاب" العناصر" لإقليدس، وكتاب" القانون" لابن سينا و" الترياق" للرازي، والشروح الّتي قام بشرحها ابن رشد لأرسطو ومؤلفات ابن ميمون.[1]

وقد ترجم الطبيب والفيلسوف شم طب سنة (667هـ/1264م)، كتاب" المنصوري" للرازي في مرسيليا، كما اشتهرت طائفة نصرانية اجتهدت في ترجمة بعض الكتب من العربية إلى اللاتينية،[2] وقد جمع ريموند المستنير المتسامح سنة (540هـ/1130م)، عددا كبيرا من المترجمين برئاسة دومنيكو وعهد إليهم بترجمة الكتب المغربية والمشرقية في الفلسفة والعلوم الطبيعية، وكان من بين هؤلاء المترجمين بعض اليهود، مثل: حنا الإشبيلي، داود وجيرارد الكريموني، كما قاموا بترجمة كتاب" البارع في أحكام النجوم" من الإسبانية إلى اللاتينية من طرف بطرس الرجوي وإجيدوي وسالتبالدي وقد طبع أول مرة بالبندقية وأعيد طبعه عدة مرات،[3] ومن هنا نستطيع أن نجزم أنّ حركة الترجمة الّتي كان يقوم بها المترجمون النصارى واليهود كانت مرتكزة في صقلية وجنوب إيطاليا، بكونهما مكانا للاتقاء الثقافات اليونانية والرومانية والعربية واستمر هذا اللقاء في ظل وجود دولة النورمان منذ قيامها، كما وجدت حركة من النقل والترجمة في عدد من المدن الإسبانية، مثل: برشلونة وملبلونة وطليطلة.[4]

---

[1]-بوعزيز، **المرجع السابق**، ص18.

[2]-**ريموند المستنير**: كبير أساقفة طليطلة.

[3]-**نفسه**، 18-19.

[4]-رابح بونار: **المرجع السابق**، ص65.

ومن هنا نستطيع القول إن حركة الترجمة الّتي قام بها الأوروبيون، وهذا بتلقيهم المستمر للعلوم في الحواضر المغربية، وشملت العلوم الّتي كان الأوروبيون يدرسونها ويستوعبونها، وشملت هذه العلوم ميادين مختلفة منها:[1]

- **في ميدان الأدب:** ففي ميدان الأدب كان الفكر اللاتيني يتصف بالجفاف والجمود، وفي حين كانت الآداب الإسلامية تتصف بالخصوبة والإبداع والتميز والتألق، ولذلك اتجه إليها الأوروبيون لإزالة الجمود الّذي يكسوا آدابهم،[2] وذلك بترجمتهم للآداب الإسلامية إلى لغاتهم، ومن هنا يظهر لنا وجود تأثيرات أدبية نتيجة لانتشار المواد المكتوبة، والّتي ظهر من يقرأها ويفهمها وقد تمت في الحقبة الثالثة الترجمات العلمية الأولى عن الأدب العربي الّتي تمت في هولندا، وقد قامت أروبا على المعاجم العربية باعتبارها الأساس الّذي قامت عليه المعاجم الغربية،[3] وقد كان من ضمن معابر وصول اللغة العربية إلى أوروبا كان عن طريق بجاية، ومهما يكن من أهمية الدور الّذي أسهمت به بجاية في تغذية غرب أوروبا بأصول الحضارة العربية الإسلامية، ويعود الفضل في ذلك إلى الهجرة الّتي قام بها الأوروبيين إلى المغرب الأوسط واستفادتهم من الآداب العربية الّتي درسوها في المراكز العلمية الحمادية، تأثر الأوروبيون بالأدب العربي في تلك العصور لأنّهم لم يجدوا ما يشفي غليلهم في الآداب المعاصرة، وتأتي القيمة العلمية في دراسة الأدب وإعطائها الأولوية دون غيره من العلوم وهذا لأنّ تعلم الآداب في أيّ لغة يسهل تعلم وانتقال أيّ طالب إلى علوم أخرى.[4]

1-محمود سعيد عمران: **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1991، ص231، أنظر كذلك بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، ص 15..

[2]-بوعزيز، **موجز**، ص161، أنظر كذلك، عباس محمود العقاد: **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، 65.

[3]حسن نافعة وآخرون: **تراث الإسلام**، ج2، تر: حسين مؤنس وآخرون، عالم المعرفة، الكويت، 1987، ص24.

[4]-سعيد عبد الفتاح عاشور: **حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص265.

وبهذا أصبحت الثقافة الإسلامية منتشرة في جميع أنحاء أوروبا في القرن 7هـ/13م، بمعرفتهم للغة العربية واتصالهم الفلسفي مع أمم إسلامية، وكذا معرفة الأوروبيين للعلوم الدينية الإسلامية.[1]

- **في ميدان الفلسفة:** وفي ميدان الفلسفة يعتبر ابن رشد وابن الطفيل وابن باجة على رأس قائمة عريضة لفلاسفة المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري الّذين أثّروا في الفلسفة أوروبا وحرروها من الجمود والقيود الّتي كانت تكتنفها،[2] وكانت الفلسفة الإنتقادية عند أرجينا وأبلار، الّذين قاموا بإدخال دراسة أرسطو وابن رشد في مناهج جامعاتهم، ودعوة أكانوس الجريئة إلى إثبات كلّ العقائد النصرانية على أساس تشغيل العقل،[3] ونذكر أهم الفلاسفة الّذين نشأوا في الرقعة البجائية، أمثال: أبو حامد الصغير المسيلي، كانت له اجتهادات متنوعة في الفلسفة والحكمة، وكذلك ابن رشد الّتي حفزت تعاليمه الفلسفية الأوروبيين كثيرا ودفعتهم إلى عصيان تعاليم الكنيسة.

أما فيلسوف كاتالونيا ريمون لول،[4] فلم يتملّك نفسه إزاء الجو العلمي الثري الّذي كانت تزخر به بجاية، فدخل في مناظرات مع علمائها وفلاسفتها.[5]

- **في ميدان الرياضيات:** إنّ الدور الّذي برز في ميدان الرياضيات هو مركز بجاية الثقافي والحضاري ومدى تأثيره على جنوب غرب أوروبا، وإيطاليا بالذات فقد تقدم المسلمون تقدما هائلا وعملاقا في تطوير الحساب والهندسة والجبر والميكانيكا وحساب المثلثات، فقد قام علماء

1-محمد حمام: **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، 204.

2-بوعزيز، **موجز**، ص162، أنظر كذلك، بن ذيب، **المرجع السابق**، ص126.

3-ديورانت ول: **قصة الحضارة عصر الإيمان النهضة**، تر: محمد بدران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص172.

4-**ريمون لول**: مفكر إسباني اشتهر برحلاته ومؤلفاته في الفلسفة والتصوف، اهتم خاصة بالتبشير في البلاد الإسلامية فزار المغرب والمشرق وكانت حياته كلها نشاطا ومغامرات، قد أطلق اسمه قديما على أحد شوارع الجزائر العاصمة (في حي القصبة).

5-بومهلة، **المرجع السابق**، ص59.

الإسلام بتصحيح ما وجدوه في محتواها من أخطاء وأكملوا الأشياء الناقصة، كما أضافوا إليها معلومات في ميدان الحساب لم يعهده الأوروبيون قط،[1] لأنّ الأوروبيين قبل النهضة كانوا يستخدمون الحصا للعدّ وينقلونه بأيديهم من اليمين إلى اليسار، أما اليونان فقد استخدموا نفس الطريقة لكن ساروا فيه بالعكس أيّ من اليسار إلى اليمين، واستخدم الرومان أشكالا كثيرة من المِعد وكانت تصنع من الحجارة والمعادن والزجاج الملون وكانوا يسمونها كالسْكو أيّ بمعنى الأحجار الصغيرة.[2]

ومن بين النصرانيين الّذين درسوا في بجاية الرياضيات وعلوم الحساب نجد ليوناردو دافنشي البيزاني، ويذكر أنّ جل ما تعلمه ليوناردو هو علوم الحساب لكي يحسن العد في ميدان التجارة والجوانب الأخرى من علوم الرياضيات، ويقول ليوناردو:" عندما عيّن والدي بعيدا عن الوطن كاتبا رسميا لدى جمارك بجاية استحضرني إلى جانبه وكنت ما أزال طفلا، وبعدما رأى في الفوائد والامتيازات الّتي يمكن أن أجنيها من هذا السفر"، وقد تعلم بها البيانات العددية وفي بجاية تلقى علومه الأولى بفضل التعليم الرائع في مجال المهارة بواسطة الرسومات الهندسية التسع،[3] وقد ألف كتابين بعد عودته من بجاية عام 597هـ/1202م، إحداهما في الحساب واسمه ليبر أباشي ويحتوي على معلومات عامة عن الحساب والجبر الإسلامي، والكتاب الثاني الهندسة بعنوان براتيكا جيومتريكا.[4]

ويقول مفدي زكريا في هذا الصدد الدور العلمي والحضاري لبجاية في قيام النهضة في أوروبا ومن خلال استفادتها من علوم الرياضيات:

3-بوعزيز، **المرجع السابق**، ص164، أنظر كذلك سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص276، أنظر كذلك، دحام إسماعيل العاني: **موجز تاريخ العلم**، ج1، ص113.

[2]-ديورانت ول: **قصة الحضارة**، ص170، أنظر كذلك، العقاد، **المرجع السابق**، ص64- 65.

[3]-بومهلة، **المرجع السابق**، ص58.

[4]-بن ذيب وآخرون، **المرجع السابق**، ص137- 138.

وأرقامنا العربية مالت أوروبا العجوز لها طوعا.

ورغم أنّ الأرقام العربية وجدت صعوبة كبيرة في تقبل الإيطاليين لهذه الأرقام، إلا أنّها أثبتت وجودها وذلك بربط الأقام العربية بأشكال أخرى، فيصبح الواحد كلسان الميزان، والإثنان تشبه العكاز، والثلاثة كذيل الخنزير، والأربعة تشبه السجق،[1] أما الخمسة فتشبه الموج، والستة كالنفير، والسبعة كالحربة والثمانية كالسلسلة، والتسعة كالصولجان، والصفر خاتم إلى جوار لسان الميزان يكون عشرة.[2]

- **في ميدان الطب والصيدلة:** وكان لبجاية ومعبر صقلية دور هام وكبير في إمداد أوروبا بتجارب مهمة في ميدان الطب، والعلاج والجراحة والصيدلة، وتعد صناعة الطب صناعة شريفة استخدمها العرب في القرون الوسطى، وكان دور العرب في تطويرهم لعلوم الطب برجوعهم إلى ما خلفته الأمم والشعوب القديمة[3] وبترجمتهم لتراث اليونان وتطويره وتنقيحه حتى أصبح علما قائما بقواعد أصول ووسائل،[4] وكان في بلاد المغرب الإسلامي أبو القاسم الزهراوي الّذي كتب كتابه الشامل لكلّ تجاربه الّتي قام بها "التصريف لمن عجز عن التأليف"، والّذي كان له الدور الهام في أوروبا إذ قام بوضع أسس الجراحة الأوروبية وسما بهذا الفرع من الطب، والّذي كان ينظر إليه أصحاب الشأن في البلاد الغربية نظرة احتقار وازدراء، وبهذا أصبحت الجراحة قائمة بذاتها ومعتمدة في أصولها على علم التشريح.[5]

---

[1]-**السجق**: ج أسجاق، معي محشو بالشحم واللحم المفروم، والأفاويه على شكل أصابع من الحجم الكبير يؤكل مشويا أو قديدا أو مجففا، تعرف المركاس، أو المركاز ويطلق عليها أيضا اسم المقانق. أنظر معجم المعاني الجامع، معجم عربي-عربي.

[2]-**نفسه**، ص138.

[3]-سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص277.

[4]-بوعزيز، **المرجع السابق**، 166.

[5]هونكة زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993، ص288، أنظر كذلك بوعزيز، **موجز**، ص169، أنظر بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**، ص23.

وقد قام المسلمون بمعالجة ما عجز الأوروبيون عن علاجه، أو ما كانت تعتقده الكنيسة بأنّ المرض من الله ولا يمكن أن يتداوى الإنسان، فقد عالجوا مرض الجذام[1] والحصبة[2] وعلاج أمراض العيون، فقد ترجمت كلّ المؤلفات اللاتينية واستفادت منها الأمم الأوروبية النصرانية في الغرب[3] بعد إعادة ترجمتها من العربية إلى اللاتينية، وقد كانت كل هذه الأمراض تحتاج إلى أدوية فقد اهتم العرب المسلمون كثيرا في هذا الميدان، ومن أهم المؤلفات الصيدلانية عند المسلمين في المغرب كتاب" الجامع لصفات أشتات النبات"، فقد اعتمدت الأدوية على النباتات،[4] وبهذه المساهمات الّتي قام بها المسلمون في ميدان الصيدلة، استفاد الأوروبيون منها كثيرا وبهذا قاموا بإنشاء مدارس للطب في بروجيا وكوهور.[5]

ومما لا شك فيه أنّ كل علم يحتاج إلى مواد أولية تسيره وتساعد مستخدمه على إنجاز هذا العلم على أحسن وجه، مثل النباتات الّتي تستغل في الصناعات الطبية لأنّ الأدوية في ذلك الوقت كانت تعتمد على النباتات، مثل:" شجر الحضن والسقولوفند، والديون و البرماريس والقنطوريون، والرواند والقسطون والأفستين...وغير ذلك من الحشائش"، والملاحظ أنّ وجود مثل هذه النباتات في بجاية إنما يدل على اهتمام أهلها بعلوم الطب والصيدلة.[6]

1-**الجذام**: هو مرض مزمن لا ينتقل بسهولة من شخص لآخر، وتسببه إحدى أنواع البكتيريا العضوية، وعادة ما يؤثر على الجلد والأعصاب الطرفية والغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي، وإذ لم يتم علاج الجذام فإنّه يؤدي إلى تلف دائم في الجلد والأعصاب وأطراف العينين، ويؤدي تأثر بعض الأعصاب الطرفية إلى أنماط مميزة من الإعاقة ومعروف باسم مرض هانست.

2-**الحصبة**: هو مرض يصيب الصغار كما يصيب الكبار، وهو بالأساس إلتهاب في المسالك الهوائية التنفسية يسببه فيروس معد جدا. أنظر

3-سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص279، أنظر كذلك بوعزيز، **موجز**، ص167.

4-يوسف محمود: **الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية**، دار وائل للنشر، الأردن، ط4، 2007، ص170.

5-ديورانت، **المصدر السابق**، ص93.

6-ديورانت، **المرجع السابق**، ص93، أنظر كذلك، العقاد، **المرجع السابق**، 33- 35.

- **في ميدان الفلك والجغرافيا:** برز في هذا الميدان الكثير من الطلبة وقد كانوا يفدون إلى بجاية، كما كان هناك أساتذة أجانب يحاضرون في هذا الميدان، وقد ألقت تلميذة في معهد سيدي تواتي محاضرة علمية دامت ثلاثة أيام حول بزوج الشمس أمام مجموعة من العلماء الأجانب، وقد ساعد علم الفلك الأوروبيين كثيرا،[1] بإضافة إلى الجغرافيا الّتي ساعدت أوروبا على اكتشاف إفريقيا الشمالية، وبخاصة تم اكتشاف القارة الإفريقية ورأس الرجاء الصالح بعد ذلك، وكان لتأليف كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي[2] وكان هذا طلبا من روجر الثاني حاكم صقلية، لاكتشاف شمال إفريقيا ومكنوناتها الطبيعية.

[1]- بن ذيب، **المرجع السابق**، ص125.

2-**الإدريسي**: لم يكن غريبا أن يطلق على الإدريسي (استرابون العرب)، فالإدريسي جمع في كتاباته طريقتي العرب والأوروبيين، وقد وجد كتابه" نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"، اهتماما كبيرا من قبل المستشرقين حيث تعددت طبعات أجزاء منه بعد ترجمته، وربت على عشرين ترجمة لأبوابه المختصة بالبلدان المتعددة، وجاء في دائرة المعارف الفرنسية، أنّ مصنف الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب وأنّ ما يحتويه من تحديد للمسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية، أنظر كذلك، أحمد بن محمد الشيعان: 2012/12/26. أنظر، **الملحق رقم (05) والملحق رقم (06)**.

المبحث الثاني: الجالية النصرانية في الحواضر الحمادية.

كان النصارى يشكلون نسبة ضئيلة من مجموع سكان الدولة الحمادية، فقد كانوا يقيمون في الدولة طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية السمحة الّتي كانت قد بينت قواعد التعامل والتعايش معهم، ولهم حرية ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية،[1] بالإضافة إلى هذا فقد كانوا يدفعون الجزية[2] للخزينة، ولا تسقط عنهم إلا باعتناق الإسلام وفقا لما جاء في الكتاب العزيز،[3] قال الله تعالى:(**قاتلوا الّذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الّذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**).[4]

وقد تعددت واختلفت جنسياتهم ولغاتهم، فقد كانوا منتشرين في الدولة الحمادية وكانت طوائف النصرانية إما من بقايا الرومان أو من البربر الّذين فقدوا جنسياتهم ونسوا أصلهم، إما من سبي الحروب الّتي كانت تقع بين المسلمين والنصارى من حين إلى حين،[5] كما كان هناك نوع آخر من العبيد في بجاية والّذين انتشروا نتيجة توجه البحرية البجائية إلى القرصنة فكانوا يباعون في سوق باب البحر، وقد كانت في بعض الأحيان يخصصون لهم سوقا خاصا وكان يتم تدليلهم وعرضهم في هذه الأسواق.[6]

---

[1]-بن قربة، **المرجع السابق**، ص231.

[2]-**الجزية**: هي مبلغ من المال كان يدفعه النصارى واليهود للمسلمين مقابل حمايتهم في ظل الدولة الإسلامية.

[3]-جلول صلاح: **تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي ولاجتماعي ق5- 6هـ/11- 12م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014- 2015، ص86.

[4]-**سورة التوبة**، الآية 29.

[5]-الميلي، **المرجع السابق**، ص556.

[6]-الغبريني، **المصدر السابق**، ص86.

أدت هجرة الحماديين من القلعة إلى بجاية، لاستقطاب الجالية النصرانية إلى العاصمة الثانية بجاية، فقد كانت لهم كنيسة العذراء بقلعة بني حماد، وكان النصارى في الدولة الحمادية ينعمون بحسن المعاملة من طرف حكام بجاية منذ النّاصر بن علناس،[1] الّذي كانت تربطه علاقات ودية كما سبق

وذكرنا مع بيزا وجنوة والبندقية وصقلية رغم الصراع الّذي كان على أرض صقلية، وتعدي النصارى على المسلمين.[2]

قام النصارى الموجودون بالقلعة بتأسيس كنيسة لهم بحي جراوة تطل على قصر المنار وكان لهم قسيسهم الّذي يدعى عزون، وقد بنى هذا الأخير لنفسه دارا سميّت بحذاء الكنيسة، وقضى مدة طويلة بالقلعة وعند انتقال النّاصر إلى عاصمته الثانية بجاية انتقل على إثره الكثير من النصارى.[3]

كما كانت مدينة بونة تزخر هي الأخرى بالوجود النصراني الّذين كانوا يحتفظون بذكرى القديس أوغستين،[4] وكان قسيس كنيسة بونة يدعى عزون وكان معظم النصارى الموجودين في مدينة بجاية هم من جنوب غرب أوروبا، الّتي كانت تطل على البحر الأبيض المتوسط، من الجمهوريات الإيطالية والإسبان والبرتغاليين، ويرجع استقرار هؤلاء النصارى في بجاية إلى العهد

---

[1]-صلاح، **المرجع السابق**، ص85.

[2]-الغنيمي، **المرجع السابق**، ص383، أنظر كذلك، كريمان كحلال وحكيمة حدار: **العلاقات الخارجية للدولة الحمادية (408- 547هـ/1018-1152م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط (الإسلامي)، جامعة بويرة، الجزائر، 2014- 2015، ص67.

[3]-الطمار، **المرجع السابق**، ص143، أنظر كذلك كحلال وحدار، **المرجع السابق**، ص65.

-**أوغستين**: ولد القديس والفيلسوف العظيم يوم 13 نوفمبر 354م، ببلدة تاجيستة بسوق أهراس على نحو مائة كيلو متر جنوب مدينة بونة، من أم مسيحية وأب وثني، لم يعتنق المسيحية إلا في أواخر عمره، نشأ أوغستين وتعلم بمدينة مداوروش شرقي عمالة قسنطينة، اشتهر بتدينه العميق، فكان من أشهر مفكري النصرانية، ويعتبر الدور الّذي قام به أوغستين في تاريخ الفكر بمثابة البوابة الواصلة ما بين العصور القديمة والعصور الوسطى، أنظر عبده دز 16، منتديات ستار تايمز: **القديس أوغستين (354- 430م)**، الساعة العاشرة مساء، 2012/09/30م، أنظر كذلك نورمان وكانتور: **التاريخ الوسيط**

[4]**قصة الحضارة البداية والنهاية**، تر: قاسم عبده قاسم، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط5، 1997، ص106- 109، أنظر كذلك كحلال وحدار، **المرجع السابق**، ص67.

الحمادي وهذا نتيجة للعلاقات الاقتصادية والتجارية الّتي كانت تربط مدينة بجاية وسائر المدن الساحلية والحمادية مع دول أوروبا الغربية.[1]

ويقول البكري: إنّه كان هناك وجود للنصارى بمدينة مجانة[2] الّتي تقع شمال شرق مدينة تبسة، وكذلك في مدن ميلة وسطيف وطبنة[3] الواقعة على الحدود الشرقية وحتّى مدن ولاية الزاب، مثل: تلجا وتهودة.[4]

وقد كانت الجالية النصرانية تنعم بالهدوء والطمأنينة في ظل وجود الدولة الحمادية، جمعت علاقة الصداقة والودّ الّتي كانت بين النّاصر بن علناس والبابا جريجوري السابع سنة 469هـ/1076م، كما سبق الذكر، وهذا حفاظا على سلامة الجالية النصرانية المقيمة في الحواضر الحمادية، وكذا التأمين على مصالح تجارهم الّذين يفدون إلى الدولة الحمادية حفاظا على تجارتهم من النهب والسرقة.[5]

وكان النصارى الموجودون في الدولة الحمادية يشتغلون بالبضائع والحرف والأعمال التجارية المختلفة بما في ذلك البيهقة والصيرفة،[6] كما كان العبيد يشتغلون بالأعمال الشاقة والمتعبة.[7]

---

[1]-سيدي موسى، **المرجع السابق**، ص64.

[2]-**مجانة**: وتعرف بمجانة المطاحن، لأنّ بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء، ليس على الأرض مثله، وهي مدينة قديمة أزلية ذات مياه، أنظر الإستبصار، المصدر السابق، ص161، وكذلك البكري، المصدر السابق، ص49، أنظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، ص188.

[3]-**طبنة**: وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر خليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل، ولها أرباض واسعة وهي ما افتتح موسى بن نصير حين دخل إفريقية والمغرب وبلاد الأندلس فبلغ السبي 20 ألف رأس، ويشق المدينة جداول الماء العذب ولها بساتين كثيرة النخل والثمار ولها نهر يشق غاباتها، وتسمى حاليا بريكة.

[4]-البكري، **المصدر السابق**، ص54، أنظر كذلك جورج مارسي، **المرجع السابق**، ص202- 203.

[5]-البكري، **المصدر السابق**، ص54، أنظر كذلك صلاح، **المرجع السابق**، ص86.

-**الصيرفة**: جمع صيارف، الصّيرف: هو صرّاف الدراهم، صراف: من يبدل نقدا بنقد، أو المستأمن على أموال الخزانة يقبض [6]ويصرف ما يستحق والبيهقة لها نفس المعنى، أنظر **معجم المعاني الجامع، معجم عربي – عربي**.

[7]-بن قربة، **المرجع السابق**، ص231.

ولم يكن النصارى الموجودون بمدينة بجاية كلّهم على أحسن حال، فقد كان هناك العبيد ولم يكن هؤلاء يعاملون معاملة حسنة، وكانوا يشكلون الطبقة الدنيا والّتي كانت محل ازدراء العامة، وكانت بجاية تحوي عددا كبيرا من الأسرى، وكان يسمع مشيهم في الشوارع وهم يساقون إلى السوق أو مراكز السجون.[1]

ومن الملاحظ أنّ دور التجار وأهل الشأن والجيش كانت تتكون من العنصر الأجنبي، كما كانت المرأة والرجل الأجنبيان يؤثران سلبا على الحياة الاجتماعية، فقد كان التأثير الأجنبي في الحاضرة الحمادية قويا، وقد وصل هذا إلى الانحلال الخلقي في أوساط البلاد الإسلامية وهو يؤكد الموقف الّذي وصلت إليه بجاية من إحلال بسبب التأثير الّذي ألحقته النصرانيات والنصارى على أفكار وعقول الحماديين المغروسة بالمنهج والفكر الصحيحين، والّذي وجده المهدي بن تومرت عندما وصل إلى بجاية.

وكان السبب في استخدام النصارى في الجيوش الإسلامية يرجع ذلك إلى ثبات هؤلاء في القتال وزحفهم في صفوف متراصة، فكانوا قاعدة ثابتة يكون الملك في وسطها بخلاف الجنود المغاربة الّذين كانوا يعتمدون على أسلوب الكر والفر.[2]

ويعود أحد أهم الأسباب هو التفتح الكبير على البحر، أدى إلى انغماس المجتمع الحمادي في دائرة اللهو والمجون ودخلوا في الظلام والعمى القلبي[3] الّذي تخلص منه النصارى واستقبله المسلمون، وهذا بسبب ضعف الوازع الديني، وهو الّذي أدى في نهاية المطاف إلى زوال وانهيار أعظم وأقوى القوى الإسلامية في كلّ بقاع العالم الإسلامي آنذاك.

---

[1]-**نفسه**، ص65.

[2]-عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، ص274، أنظر كذلك، عليّ خلاصي، **سطيف في العهد الإسلامي**، ص133.

3-ألا يمكن للحماديون أن يؤثروا على الجالية النصرانية الموجودة في الحواضر الحمادية، وحتّى وإن كثرت فلا يمكن أن تفوق عدد السكان الأصليين، معقول لو كانت الجالية المسلمة في الحواضر النصرانية وأثرت عليها الثقافة النصرانية غير أخلاقية، لكن يحدث هذا في الحواضر الإسلامية فهذا غير معقول وإلا فقد يكون هذا ضعف في الإيمان والشخصية الإسلامية. أنظر البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت**، ص31- 32.

وكان للنصارى الحق في إيداع شكواهم لدى قاضي المنطقة لينظر فيها، ويحكم بالعدل وفي هذه الحالة كان يجلس للنظر في شكاوى النصارى في رحاب المسجد الخارجية حتّى يستطيع أهل الذمة[1] الوصول إليه، هذا فيما يخص شكوى النصارى مع المسلمين، أما فيما يتعلق بالقضايا الّتي تقع بين أهل الذمة فيما بينهم، فقد كان يفصل في قضاياهم خارج المسجد.[2]

كما قام الناصر بجلب البنائين والمهندسين النصارى في بناء قصور دولته، وكان ذلك عند بناء قصر البحر أو دار البحر الّتي اشتملت على بدائع الزخارف الفني، وحتّى قصر المنار الذي قام ببنائه نصراني، ومن بين هؤلاء المهندسين الّذين جلبهم حكام الدولة الحمادية نذكر منهم: بونياش.[3]

1-**أهل الذمة:** أهل الذمة في الإسلام هم اليهود والنصارى، أولهم الأشخاص الّذين يقتنون ديانات أخرى غير الإسلام ويعيشون في ظل الدولة الإسلامية والحكم الإسلامي، وسبب تسميتهم بأهل الذمة يعود إلى أنّهم تحت حماية الدولة الدولة الإسلامية وأنهم محميون من الأذى سواءا من مسلم أو من غيرهم من النصارى واليهود. أنظر نتاشا عيسى: السادسة وثلاثة دقائق، نوفمبر2014.

[2]-بن ذيب وآخرون، **المرجع السابق**، ص124. أنظر كذلك بن قربة، **المرجع السابق**، ص238.

[3]-بونار، **المرجع السابق**، ص218.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال الدراسة الّتي قمت بها حول علاقة الدولة الحمّادية بالنصارى بعد الاطلاع على المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع توصلت إلى النتائج التالية:

أنّ الأوضاع العامة للدولة الحمادية منذ تأسيسها وانفصال حماد عن أبناء عمومته، الأثر البالغ في نشوب الصراع بينه وبين أبناء عمومته الزيريين من الجهة الشرقية، بالإضافة إلى ميلاد دولة جديدة على الساحة السياسية والعسكرية من الجهة الغربية والّتي تمثلت في الدولة المرابطية، الّتي بدأت في التوسع على حساب الدولة الحمادية، وبهذا ظهرت صراعات أخرى فقامت هذه الأخيرة بصد الهجومين القادمين تارة من الشرق وتارة أخرى من الغرب وكذا الهجرة الهلالية، وكان هذا منذ ظهور الدولة وإلى غاية انتقالها إلى العاصمة الثانية بجاية، وبهذا قرر خامس ملوك الدولة الحمادية النّاصر بن علناس فتح باب جديد بعيدا كلّ البعد عن الصراع والحروب وحفاظا على مملكته، وهذا بقيام النّاصر بتولية وجهه إلى الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط، وإقامة علاقات ودية مع النصارى الأوروبيين وهذا تجنبا لظهور صراع آخر يكون من حكام الدول النصرانية، لذلك قام النّاصر بن علناس بمبادرة طيبة لا مثيل لها ولم يسبق لملوك المغرب الإسلامي، ولا حتّى لملوك الدولة الحمادية أنفسهم القيام بهذه المبادرة المتميزة، والّتي جعلت من الدولة محل استقطاب الأجانب الأوروبيين والّذين كانوا يفدون إلى الحواضر الحمادية بغرض التجارة آمنين على أنفسهم وأموالهم فكان التجار النصارى يستوردون المواد الّتي هم بحاجة إليها ويقومون بتصدير منتوجاتهم وإيداعها في دول المغرب الإسلامي، فكان هؤلاء التجار ينعمون بالهدوء والسلام ويعودون إلى أوطانهم وقد أنهوا مهامهم بأحسن حال.

وفي ظل هذا الأمن الّذي كانت تنعم به الدولة الحمادية، واهتمام ملوك الدولة بالتشييد والبناء، واهتمامهم بالعلم، وخاصة عندما قام النّاصر بن علناس بتشييد المدارس مثل تشييده لمعهد سيدي تواتي الّذي عرف ظهور نوع من المدارس العليا في البلاد الإسلامية، فقد كان يؤم بجاية

الطلبة من كلّ بقاع البلاد الإسلامية وحتّى الأجانب من الدول الأوروبية، فقد كانوا يفدون لأخذ العلم، ومن الأسماء الأوروبية البارزة يمكن ذكر، ليوناردو دافنشي وريمون لول...الخ.

وقد ظل هذا السلام سائدا بين الحماديين والنصارى إلى غاية نهاية عهد المنصور(481-498هـ/1089- 1105م)، ومع بداية عهد العزيز بالله استمرت لفترة قصيرة، وبعدها تغيّرت هذه العلاقات من الود إلى العداء وهذا باستيلاء بعض قراصنة الدولة الحمادية على أساطيل النصارى في عرض البحر، فبدأت محاولات النصارى تنتظر الفرصة الملائمة للإستيلاء على سواحل الدولة الحمادية، ومن هنا نوع جديد من العلاقات وهو العلاقات العدائية واستمرت إلى غاية عهد آخر ملوك الدولة يحي بن العزيز(515- 547هـ/1121- 1152م)، وهذا عندما قام يحي بمساعدة ابن عمه ضد النصارى ونيته في ضم مدن الدولة الزيرية لممتلكاته، فقام النورمان بتوجيه حملة عسكرية على المدن الساحلية للدولة الحمادية فكانت هجومات شرسة عليها، انتهت بإضعاف الحماديين، وكانت من الأسباب الّتي جعلت عبد المؤمن بن علّي الندرومي يغزو المغرب الأوسط وأنهى أيام الحماديين.

الملاحق

الملحق رقم 01 ملوك الحماديين [1]

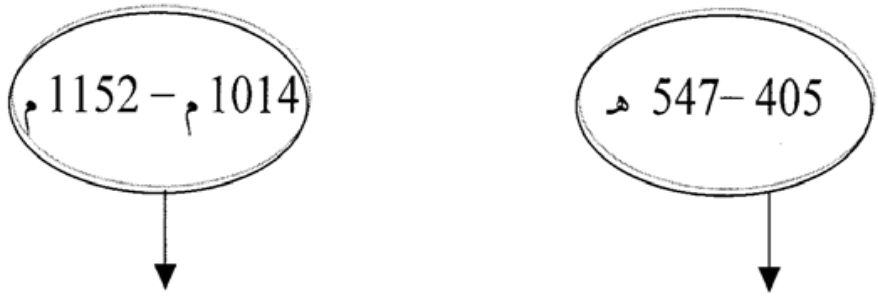

405 هـ	حماد بن بلكين	1014 م
419 هـ	القائد بن حماد	1028 م
446 هـ	محسن بن القائد	1054 م
447 هـ	بلكين بن محمد	1055 م
454 هـ	الناصر بن علناس	1062 م
481 هـ	المنصور بن الناصر	1088 م
498 هـ	باديس بن المنصور	1104 م
498 هـ	العزيز بن المنصور	1105 م
547 هـ	يحي بن العزيز	1152 م

[1] كريمان كحلال وحكيمة حدار ، **المرجع السابق** ، ص 140

الملحق رقم 02 ملوك النورمان [1]

ملوك النرمان الذين تولوا امر صقلية

الملك	الولادة	الولاية	الوفاة
رجار الاول	١٠٤٠	١٠٧٠	١١٠١
ابنه رجار الثانى	١٠٩٣	١١٠١	١١٥٤
ابنه غليوم الخبيث (١)	١١٢٠	١١٥٤	١١٦٦
ابنه غليـوم الحسن	١١٥٤	١١٦٦	١١٨٩
طانكريت (٢)		١١٩٠	١١٩٤
غليوم الثالث		١١٩٤	

[1] توفيق احمد المدني ، **المرجع السابق** ، ص 139.

الملحق رقم (04) رسالة البابا غريغوري السابع بالعربية.

" من جريجوري إيفيك عبد عبيد الله[1] إلى النّاصر ملك موريتانيا السطيفية بإفريقية سلاما ورضا الكنيسة.....

كتبت لنا سيادتكم النبيلة هذه السنة تطلب منا أن نعين القسيس سرفاند إيفيك على مقتضى الشريعة النصرانية، الأمر الّذي بادرنا بتنفيذه نظرا لعدل طلبكم وقد أرسلتم إلينا بهذه المناسبة هدايا، وقد افتديتم النصرانيين الّذين كانوا أسرى بمملكتكم تقديرا لبطرس وحبا لنا، وقد وعدتمونا بعتق كلّ أسير نصراني تعثر عليه من بعد، فإنا الخالق الّذي لولاه لما قمنا بأيّ شيء، قد ألهمكم هذا الحلم وقاد قلبكم للقيام بهذا العمل الكريم.

إنّ الله العزيز، الّذي يريد أن ينقذ جميع الناس أن لايهلك أحد، لايرضيه شيء أكثر من محبة الإنسان لأخيه بعد الحب الّذي يجب على هذا الإنسان نحو نفسه ومن العمل بهذه الحكمة: عامل غيرك بما تريد أن تعمل به.

ويجب عليكم وعلينا أن نفعل الخير أكثر من الأمم الأخرى حيث أنّنا نعبد إلها واحدا على طرق مختلفة وأن نحمده ونقدسه كلّ يوم، فإنّه خالق الأجيال وربّ العالمين، فإنّ أعيان مدينة روما، عند سماعهم منّا بصنيعكم الّذي ألهمكم الله إياه، أعجبوا بسمو عواطفكم وشادوا بذكركم، فإن اثنين منهم نديمينا البريك وسنسيوس اللّذان تربيا معنا منذ طفولتهما بقصر روما، يرغبان رغبة شديدة في أن تكون بينكم وبينهما صداقة وتعاون ويسعدهما أن يجدِياكم نفعا في هذه البلاد، فإنّهما يبعثان بعض رجالهم يحدثونكم عن تقدير سادتهم لما قمتم به ولجلالتكم وعن سرورهم بخدمتكم هنا، فنوصي فخامتكم بهم حبا وخيرا، ونسأل عطفكم عليهم ورعايتكم لهم بقدر ما يكون عطفنا واعتناؤنا بما يهمكم.

والله تعالى[1] يشهد أنّه هو الملهم لهذه الصداقة الّتي نعدكم بها، وكم نتمنى لكم من حفظ ومجد في هذه الدنيا وفي الآخرة، نسأله من صميم فؤادنا أن يستقبلكم بعد عمر مديد في نعيم القديس إبراهيم".[2]

1-هناك اختلاف في الترجمة والّتي تظهر في مقدمة الرسالة، فالطمار قال: عبد عبيد الله، أما عويس، فقال: خادم خدام الله. أنظر نص الرسالة باللاتينية. **الملحق رقم (03)**، أنظر كذلك، عبد الحميد زغلول: **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبني زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، ص467.

الملحق رقم 04 رسالة البابا غرغوري باللاتينية.[3]

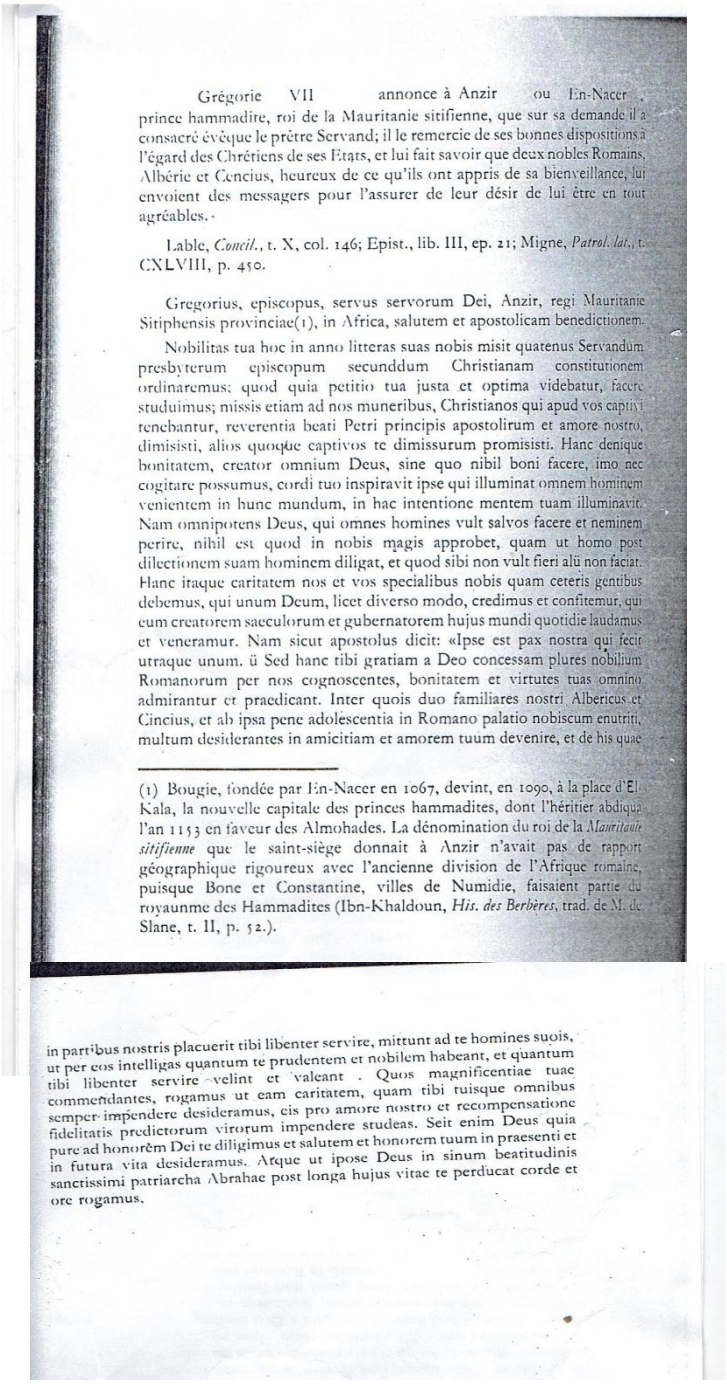

Grégorie VII annonce à Anzir ou En-Nacer, prince hammadite, roi de la Mauritanie sitifienne, que sur sa demande il a consacré évêque le prêtre Servand; il le remercie de ses bonnes dispositions à l'égard des Chrétiens de ses Etats, et lui fait savoir que deux nobles Romains, Albérie et Cencius, heureux de ce qu'ils ont appris de sa bienveillance, lui envoient des messagers pour l'assurer de leur désir de lui être en tout agréables.

Lable, *Concil.*, t. X, col. 146; Epist., lib. III, ep. 21; Migne, *Patrol. lat.*, t. CXLVIII, p. 450.

Gregorius, episcopus, servus servorum Dei, Anzir, regi Mauritanie Sitiphensis provinciae(1), in Africa, salutem et apostolicam benedictionem.

Nobilitas tua hoc in anno litteras suas nobis misit quatenus Servandum presbyterum episcopum secunddum Christianam constitutionem ordinaremus; quod quia petitio tua justa et optima videbatur, facere studuimus; missis etiam ad nos muneribus, Christianos qui apud vos captivi tenebantur, reverentia beati Petri principis apostolirum et amore nostro, dimisisti, alios quoque captivos te dimissurum promisisti. Hanc denique bonitatem, creator omnium Deus, sine quo nibil boni facere, imo nec cogitare possumus, cordi tuo inspiravit ipse qui illuminat omnem hominem venientem in hunc mundum, in hac intentione mentem tuam illuminavit. Nam omnipotens Deus, qui omnes homines vult salvos facere et neminem perire, nihil est quod in nobis magis approbet, quam ut homo post dilectionem suam hominem diligat, et quod sibi non vult fieri alü non faciat. Hanc itaque caritatem nos et vos specialibus nobis quam ceteris gentibus debemus, qui unum Deum, licet diverso modo, credimus et confitemur, qui eum creatorem saeculorum et gubernatorem hujus mundi quotidie laudamus et veneramur. Nam sicut apostolus dicit: «Ipse est pax nostra qui fecit utraque unum. ü Sed hanc tibi gratiam a Deo concessam plures nobilium Romanorum per nos cognoscentes, bonitatem et virtutes tuas omnino admirantur et praedicant. Inter quois duo familiares nostri Albericus et Cincius, et ab ipsa pene adolescentia in Romano palatio nobiscum enutriti, multum desiderantes in amicitiam et amorem tuum devenire, et de his quae

(1) Bougie, fondée par En-Nacer en 1067, devint, en 1090, à la place d'El Kala, la nouvelle capitale des princes hammadites, dont l'héritier abdiqua l'an 1153 en faveur des Almohades. La dénomination du roi de la *Mauritanie sitifienne* que le saint-siège donnait à Anzir n'avait pas de rapport géographique rigoureux avec l'ancienne division de l'Afrique romaine, puisque Bone et Constantine, villes de Numidie, faisaient partie du royaunme des Hammadites (Ibn-Khaldoun, *His. des Berbères*, trad. de M. de Slane, t. II, p. 52.).

in partibus nostris placuerit tibi libenter servire, mittunt ad te homines suois, ut per eos intelligas quantum te prudentem et nobilem habeant, et quantum tibi libenter servire velint et valeant . Quos magnificentiae tuae commendantes, rogamus ut eam caritatem, quam tibi tuisque omnibus semper impendere desideramus, eis pro amore nostro et recompensatione fidelitatis predictorum virorum impendere studeas. Seit enim Deus quia pure ad honorêm Dei te diligimus et salutem et honorem tuum in praesenti et in futura vita desideramus. Atque ut ipose Deus in sinum beatitudinis sanctissimi patriarcha Abrahae post longa hujus vitae te perducat corde et ore rogamus.

1-ونلاحظ في الرسالة أنّ البابا جريجوري السابع تجنب ذكر اسم المسيح في رسالته، وإنما اكتفى باسم الإله الّذي يعزو إليه تلك الصفات الّتي يتفق عليها المسلمون والنصارى، مثل: الخالد، والخالق، والخلق....إلخ

2-الطمار، **المغرب**، ص207- 210، أنظر كذلك، الطمار، **الروابط**، ص143، أنظر كذلك، عويس، **المرجع السابق**، ص76.

[3] سامي سعد سلطان ، **مجلة الاصالة** ، ص 61-62.

الملحق رقم 03 : السفينة الحمادية [1]

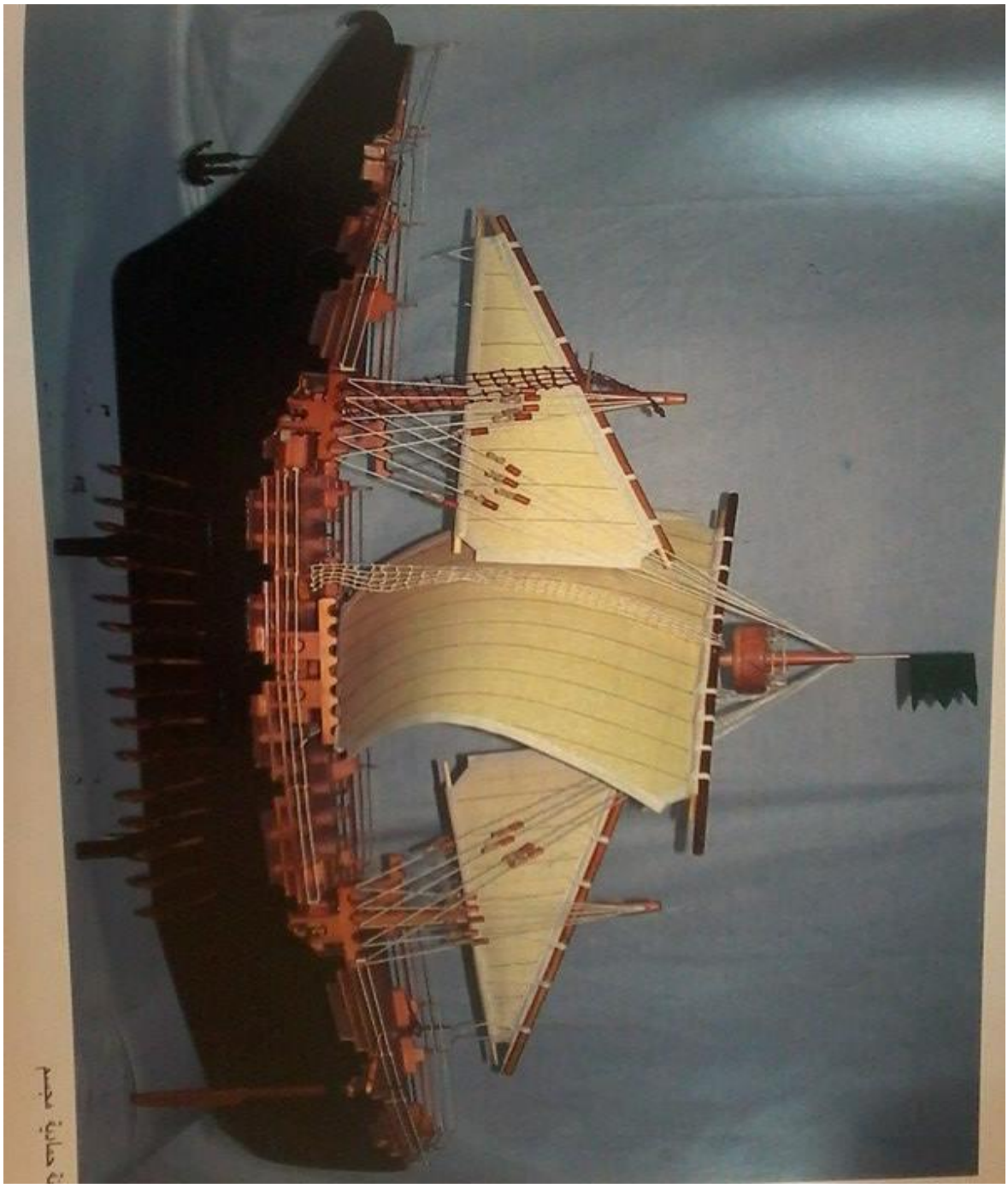

[1] علي خلاصي ، **المرجع السابق**، ص 140.

الملحق رقم 05 : خريطة العالم للإدريسي كما كان معتقد في هذا الوقت [1]

[1] http://www.**marefa.org**/index

الملحق رقم 06 : خريطة العالم للإدريسي كما كونها مولر من الخرائط الجزئية التي رسمها الإدريسي (548 هـ،1153. [1]

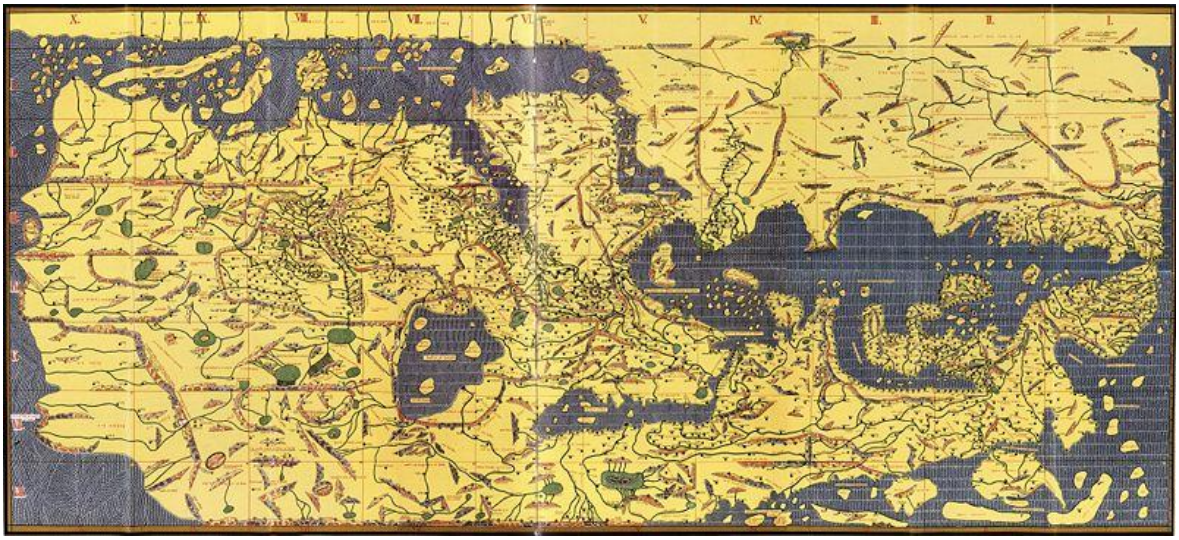

[1] http://www.**marefa.org**/index

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا:

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

1)- ابن الأثير، أبو الحسن عليّ ابن ابي الكرم عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ): **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط4، 2003.

2)- الإدريسي الشريف: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتاب، ط1، 1989.

3)- ابن بسام أبو الحسن علي الشنتيري: **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة**، مج: 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة ، 1939.

4)- البكري أبو عبيد الله: **المغرب في ذكر افريقية و المغرب**.

5)- البوني احمد ابن قاسم: **التعريف ببونة افريقية بلد سيدي مروان الشريف**، تح: سعيد دحماني، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، الجزائر، ط1، 2007.

6)-البيذق، أبو بكر ابن عليّ الصنهاجي: **أخبار المهدي ابن تومرت**، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

7)- ابن جبير، أبو الحسين محمد ابن احمد الكناني الاندلسي البلنسي: **رحلة ابن جبير**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1907.

8)- ابن حزم (1064هـ): **جمهرة انساب العرب**.

9)- الحموي، ياقوت شهاب الدين ابو عبد الله ابن عبد الله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، دت.

10)- ابن حوقل ابو القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، مطبعة بريل، لندن، ط1، 1967.

11)- ابن خطيب لسان الدين: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964.

12)- ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، تح: سهيل زكار، المكتبة العصرية، بيروت، دت.

13)-ابن خلدون عبد الرحمان: **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

14)-ابن خلكان (1282م): **وفيات الاعيان و انباء أبناء الزمان**.

15)-دحمان سعيد: **تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من كتاب العبر**، بونة للبحوث و الدراسات، الجزائر، ط1، 2011.

16)-أبو دينار، أبو عبد الله الشيخ محمد ابن أبو القاسم الوهيني القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية و تونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1286.

17)- ديورانت وال وايريل: **قصة الحضارة عصر الإيمان النهضة**، تر: محمد بدران، بيروت، دت.

18)- الذهبي، شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان: **سير اعلام النبلاء**، مج: 18، تح: شعيب الارناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.

19)- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الأمم و الملوك**، ج7.

20)- ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س كولان وإليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1983.

21)- الغبريني أبو العباس: **عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1979.

22)- القلقشندي: **قلائذ الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**.

23)- الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: **جمهرة النسب**، تح: ناجي حسن، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986.

24)- مارمول كاربخال: **إفريقية**، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الإسكندرية، 1989.

25)- المراكشي عبد الواحد: **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تر: محمد الفاسي، الشركة النشر المغربية، المطبعة الثقافية، المغرب، 1938.

26)- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبو بكر: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بريل، ليدن المحروسة، ط2، 1904.

27)- مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: زغلول سعد عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، 1985.

28)- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، دت.

29)- اليعقوبي: **وصف إفريقيا الشمالية**، تح: هنري بيريس، مكتبة الدروس الإسلامية، الجزائر، 1960.

قائمة المراجع:

1)- إحدادن زهير وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.

2)- أكدرية إريتيريا: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، ط1، 1998.

3)- البارودي رضوان: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، دار الإسكندرية للكتاب، الجزائر، 2007.

4)- باريال أندري: **الجزائر بين الماضي والحاضر**: تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

5)- برشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى القرن 15م**، ج1، تر: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.

6)- بورويبة رشيد وآخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

7)- بورويبة رشيد: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

8)- بورويبة رشيد: **وهران فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

9)- بورويبة رشيد: **الجزائر فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998.

10)- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2007.

11)- بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

12)- بومهلة تواتي: **محطات في تاريخ الجزائر**: دار المعرفة، الجزائر، 2012.

13)- جندلي محمد: **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافية في القديم والوسيط**، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر، ط2، 200.

14)- الجندي أنور: **صفحات مضيئة من تراث**، دار الإعتصام،

15)- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، شركة دار الأمة، الجزائر، ط8، 2010.

16)- حاجيات عبد الحميد وآخرون: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.

17)- حاطوم نور الدين: **تاريخ العصر الوسيط في أوروبة من القرن 12 إلى القرن 15م**، ج2، دار الفكر، سوريا، ط1، 1993.

18)- حساني مختار: **التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.

19)- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

20)- حساني مختار: **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج2، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

21)- حمام محمد: **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.

22)- خضر أنور عادل: **أطلس تاريخ الجزائر**، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2013.

23)- خلاصي علي آخرون: **سطيف في العهد الإسلامي بين القرنين الثاني والثامن الهجريين الثاني عشر والثامن عشر الملاديين**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

24)- الخلف سعود بن عبد العزيز: **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، مكتبة أضواء السلف، م ع السعودية، ط1، 1997.

25)- دحماني سعيد: **عنابة فن وثقافة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

26)- دلماس كلود: **تاريخ الحضارة الأوروبية**، تر: توفيق وهبة، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982.

27)- دويب عبد الرحمان: **تاريخ المدن**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.

28)- بن الذيب عيسى وآخرون: **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، المركز الوطني للدراسات، الجزائر، 2007.

29)- أبو الرزاق أحمد بن محمد: **الأدب في العصر الحمادي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

30)- روجي الهادي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م**، ج1، تر: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.

31)- زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990.

32)- زيتون عادل: **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار دمشق، سوريا، ط1، 1980.

33)- أبو زيد أحمد: **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الإسكندرية، 1970.

34)- زيغريد هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993.

35)- سعدي عثمان: **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

36)- سويدي جمال: **الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم(من القديم إلى 1830)**، تر: فايزة بوردوز، منشورات التل، الجزائر، 2007.

37)- سيدي موسى محمد الشريف: **مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية**، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

38)- شيت محمود الخطاب: **قادة فتح المغرب العربي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ط7، 1984.

39)- الطمار محمد: **الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

40)- الطمار محمد: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

41)- الطمار محمد: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

42)- طويل طاهر: **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، ط1، 2011.

43)- عاشور سعيد عبد الفتاح: **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**،

44)- عاشور سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت،1976.

45)- العربي إسماعيل: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

46)- عشراتي سليمان: **الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2013.

47)- العقاد عباس محمود: **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، دار المعارف، ط8، قاهرة، دت.

48)- علوان عبد الله ناصح: **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، دار الإسلام للطباعة والنشر، ط1، دت.

49)- علوان عبد الله الناصح: **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، دار السلام، القاهرة، ط1، دت.

50)- عمورة عمار: **موجز تاريخ الجزائر**، دار الريحانة، الجزائر، ط1، 2002.

51)- عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، شركة سوزلر للنشر، الإسكندرية، ط2، 1991.

52)- الغنيمي مقلد عبد الفتاح: **موسوعة المغرب العربي**، ج2، مديولي، القاهرة، دت.

53)- فالريان دومنيك: **بجاية ميناء مغاربي 1067 – 1510**، ج2، تر: عمار علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2013.

54)- فركوس صالح: **تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدولة الزيانية**، مديرية النشر لجامعة قالمة، الجزائر، 2011.

55)- بن قربة صالح يوسف: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي**، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009.

56)- كميل عزيز: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2010.

57)- لوبيز روبرت: **ثورة العصور الوسطى التجارية 950- 1350م**، تر: محمود أحمد أبو صوة وصلاح الدين السوري، منشورات إلفا، دب، دت.

58)- لويس أرشيبالد: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، تر: أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت.

59)- مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.

60)- مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1980.

61)- مؤنس حسين: **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.

62)- المدني أحمد توفيق: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

63)- الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

64)- نافعة حسن وآخرون: **تراث الإسلام**، تر: حسين مؤنس، عالم المعرفة، الكويت، 1987.

65)- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2013.

66)- يوسف محمود: **الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية**، دار وائل للنشر، ط4، 2007.

67)- يوسف نسيم جوزيف: **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2002.

المراجع الفرنسية:

Courtoi Christian : **Grégoire VII et L'Afrique du nord** ,**1954**.

2)– De mas Latrie : **traité de piece et commerce**

3)– Elie De la Primaudi: **L'Algerie Avant l'occupation fraide**, **Edition**, **lumiere libere**.

الدوريات:

1)– بوعزيز يحي: **ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية**، مجلة الثقافة، الجزائر، 1977.

2)– سعد سامي سلطان: **دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام 469هـ/1076م**، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر، الجزائر، العدد 1، 1986.

3)- السيدة عالمة: **نظرة على تاريخ بجاية،** مجلة الأصالة مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 19، 1394.

4)- العربي إسماعيل: **العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد،** مجلة الأصالة مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 19، 1364.

المذكرات:

1)- جلول صلاح: **تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي في(5** – 6هـ/ 1018- 1150م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران، الجزائر، 2014 – 2015.

2)- بن حاج ميلود: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني** (206هـ/822 - 854)، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008.

3)- كحلال كريمان وحدار حكيمة: **العلاقات الخارجية للدولة الحمادية (408 – 547هـ/1018– 1152)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة البويرة، الجزائر، 2014 – 2015.

4)- الكردي حسيب ظافر نجيب: **الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر،** قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي (بحث تكميلي)، جامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2011.

ملخص

تعاقب على حكم المغرب الأوسط عدة دول منها الدولة الحمادية والّتي تنتسب إلى قبيلة صنهاجة، الّتي كان حضورها قويا وبارزا حضاريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، ولم يسبق لأيّ دولة من الدول بأن ساهمت بالمساهمة الّتي قامت بها الدولة الحمادية، كما كان حضورها قويا في مجال العلاقات الخارجية متوجهة صوب البحر الأبيض المتوسط، ويرجع نجاح هذه العلاقات إلى سياسة التسامح الّتي انتهجها أغلب ملوك الدولة الحمادية، وخاصة في عهد الناصر بن علناس الّذي انتهج سياسة تهدف إلى خلق جو السلام والأمن في المملكة الحمادية، واستمرت هذه العلاقات في عهد المنصور، وقد حاول العزيز بالله الحفاظ على على هذا النوع من العلاقات، لكن آخر ملك حمادي يحي بن العزيز تفاقمت الصراعات في عهده وهو ما أدى إلى إضعاف الدولة.

كما كانت هناك علاقات اقتصادية للدولة الحمادية مع الجمهوريات الإيطالية كجنوة وبيزا وكذا جزر البليار وجنوب فرنسا خاصة مرسيليا وحتّى مع جزيرة صقلية والبندقية.

كما كان هناك نوع آخر من من العلاقات، والّتي جعلت من بجاية حاضرة الحماديين العلمية والثقافية، وهو ما أدى إلى توفد الأجانب النصرانيين عليها لأخذ العلم والمعرفة من علماء بجاية وبقية المدن الحمادية الأخرى، والّتي كانت تحتوي على مدارس ومعاهد علمية تدرس فيها مختلف العلوم .

Résumé

Punir sur une disposition du Maroc Orient. Plusieurs d'entre eux international el hamadia , et qui est affiliée a la tribu des Sanhadja , ses interdictions qui était forte et remarquable civilisé et politiquement et économiquement et socialement et culturellement et je n'ai jamais ne états ban ont contribué comme contribution menées par l' état el hamadia. Comme c'était le cueillie solide dans le domaine des relations extirieures a destination vers la mer Méditerranée et le succés de ces relations est du à une politique de tolérance par la plupart des rois de l'état el hamadia , et en particulier dans l'ère Nasser Ben Alnas qui a adopté une politique visant à créer un climat de paix et de sécurité dans le royaume el hamadia n. Et ces relations ont continué à l'époque Manssour et a tenté de cher dieu de priserver ce genre de relation. Mais le darnier roi de hamadi. Yahia ibn Aziz.

Aggravées par des conflits dant son régne , ce qui conduit à la fois de létat. Il y a aussi eu des relations économique de l'état el hamadia avec des républiques italiennes comme ailleurs et pise et des iles Baléares et le sud de la France en particulier de Marseille et meme avec l'ile de la sicile et à Venise.

Il y avait aussi un autre type de relations et qui a fait de la présence medellin scientifique et culturelle, ce qui conduit à des étrangers Insranyyn dessus pour la science et de connissances scientifiques de Bédjaia et le reste des villes el hamadia. Et qui contenaient des écoles et les Instituts scientifiques étudient différents des sciences.

فهرس المحتويات:

المقدمة: أ – ح.
مدخل عام: 1 –11.
الدولة الحمادية: 1.
ملوك الدولة الحمادية: 2 – 4.
الأوضاع العامة لبلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي: 6 – 8.
نصارى أوروبا: 9 – 10.
تعريف كلمة النصرانية: 9.
النورمان: 10 – 11.
الفصل الأول: العلاقات السياسية بين الحماديين والنصارى: 13 – 29.
تمهيد الفصل الأول: 13 –14.
المبحث الأول: في عهد القائد والناصر: 15 – 26.
المطلب الأول: في عهد القائد بن حماد: 15 – 16.
المطلب الثاني: في عهد الناصر بن علناس: 17 – 24.
المبحث الثاني: في عهد العزيز بالله ويحي: 25– 29.
المطلب الأول: في عهد العزيز بالله: 25 – 26.

المطلب الثاني: في عهد يحي بن العزيز بالله: 27– 29.
الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية بين الحماديين والنصارى: 31– 40.
تمهيد الفصل الثاني: 31– 32.
المبحث الأول: التجارة مع الجمهوريات الإيطالية: 33– 40.
المطلب الأول: التجارة مع بيزا وجنوة: 33– 37.
المطلب الثاني: التجارة مع جزر البليار وجنوب فرنسا: 38– 40.
المبحث الثاني: التجارة مع صقلية والبندقية: 41– 46.
المطلب الأول: التجارة مع صقلية: 41– 42.
المطلب الثاني: التجارة مع البندقية: 43– 46.
الفصل الثالث: العلاقات الثقافية والاجتماعية: 48–50.
المبحث الأول: دور الحواضر الحمادية في النهضة العلمية الأوروبية: 50– 60.
المبحث الثاني: الجالية النصرانية في الحواضر الحمادية: 61– 69.
الخاتمة: 70– 71.
الملاحق: 72– 78.
الملخص باللغتين العربية والفرنسية. 79.
قائمة المصادر والمراجع. 80– 89.